مجلة ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية ، والمقالات والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية

لم لا تكون (من) الجارة اسمًا ؟

دفائن الحماسة (٣)

تأملات بلاغية في آيات الصيام (١)

قصيدة (قل للذي يبغي الخلاص من الذنوب)

(مئة) لا (مائة)

ألغاز وأحاجي شعرية (٨)

آذان صاغية (من أخطاء التصحيح اللغوي)

إبداعات أدبية لجلساء الملتقى

ذو الحجة ١٤٤١ - العدد الخامس عشر - السنة الثامنة - تصدر عن ملتقى أهل اللغة - www.ahlalloghah.com

مجلة ملتقى أهل اللغة

مجلة علمية أدبية تعنى بنشر الإبداعات الأدبية والمقالات
والدراسات العلمية الأصيلة المتصلة بعلوم العربية
لأعضاء ملتقى أهل اللغة
تصدر نهاية العام الهجري

ذو الحجة
١٤٤١

المشرف العام على الملتقى
رضوان بن محمد آل إسماعيل

الغلاف
بسمة الإبداع
basmah.me

تصدر عن ملتقى أهل اللغة
www.ahlalloghah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

من حلقة النحو والتصريف

لم لا تكون (من) الجارة اسما؟

فيصل المنصور

لم لا تكون (مِن) الجارة اسما ؟

لو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ (مِن) اسمٌ ، بدليلِ أنَّها تقعُ موقعَ (**بعضٍ**) ، وأنَّها تقعُ في موضعِ الفاعلِ ، حيثُ لا فاعلَ ، وموضعِ المفعولِ حيثُ لا مفعولَ :

- فأمَّا وقوعُها موقِعَ (**بعضٍ**) ، فأوضحُ مثالٍ عليهِ قراءةُ الجمهورِ : ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ ﴾ [آل عمران 92] ، وقراءةُ ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه : ﴿ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ بَعۡضَ مَا تُحِبُّونَۚ ﴾ .
- وأمَّا وقوعُها موضعَ الفاعلِ حيثُ لا فاعلَ ، فمثلُ قولِه تعالَى : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الأنعام 34] .
- وأمَّا وقوعُها موضعَ المفعولِ حيثُ لا مفعولَ ، فمثلُ قولِه تعالَى : ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ ﴾ [البقرة 249] .

فما أصرحُ دليلٍ على الفرقِ بينَهما يُمكنكَ أن تُجيبَ به؟

❀ ❀ ❀

فالجوابُ : أنَّ المُعوَّلَ عليهِ في التَّفرقةِ بينَ أصنافِ الكَلِم هو الحَدُّ ، لا العلاماتُ ؛

إذ الحدُّ موضوعٌ لبَيانِ حقيقةِ الشَّيءِ ، وتمييزِه عن غيرِه .

فإذا أردنا معرفـةَ شيءٍ من الكلمِ ، وإلى أيِّ صنفٍ من الأصنافِ الثَّلاثةِ ينتمي ، عرَضناه على الحدِّ ، بعدَ تـمحيصِه ، والاطمئنانِ إلى سلامتِه ، والاستيثاقِ من دوَرانِه طردًا وَعكسًا .

فإذا استبْهمَ علينا الحدُّ ، ولم يهدِنا النَّظَرُ فيهِ ، ثُمَّ النَّظرُ إلى الكلمةِ المرادِ معرفةُ صنفِها ، إلى يقينٍ قاطعٍ ، استعنَّا بالنَّظرِ في العلاماتِ ، والخواصِّ الَّتي أُعطيَتها هذه الكلمةُ ؛ إذ لكُلِّ صِنفٍ من الأصنافِ خواصُّ لا يَشرَكُه فيها غيرُه ، توجَدُ في بعضِ أنواعِه دُونَ بعضٍ .

وهي خواصُّ اقتضَتها طبيعتُه ، كدُخولِ حرفِ التَّعريفِ على الأسماءِ دُونَ غيرِها ؛ فإنَّما ذلكَ لأنَّ الفعلَ ليسَ اسمًا لشيءٍ ثابتٍ ؛ فيقبلَ التَّعريفَ ، والتَّنكيرَ ، ولأنَّ الحرفَ ناقصُ الدِّلالةِ ، لا يتِمُّ معناه إلَّا بغيرِه .

وينبغي قبلَ النَّظرِ في العلاماتِ أن ننظرَ في الحدودِ ؛ لأنَّ العلاماتِ :

- ربَّما تخلَّفت ، كما في (عدا) ، و(خلا) في الاستثناءِ .
- وربَّما انتقضَت ، كما في :

* أقائِلُنَّ أَحضِروا الشُّهودا *

- وربَّمـا اختُلِفَ فيها ، كمـا في لـحاقِ ياءِ الـمتـكلِّم معَ نونِ الوقـايةِ اسمَ الفـعلِ (عليكَني) ، على أنَّ ادِّعاءَ أنَّ ما يسمُّونَه (أسماءَ أفعالٍ) أسماءٌ ، فيهِ نَظرٌ .

أمَّا الحدودُ ، فإنَّها متى أُحكِمت ، لم يتطرَّق إليها خللٌ ، ولم يمسَسها خوَرٌ .

والنُّحـاةُ كثيرًا ما يُقـدِّمون حُكمَ العلاماتِ على حُكمِ الـحدودِ ، كمـا فَعلوا في (ليسَ) ؛ فعدُّوه فِعلاً ، والحقُّ أنَّه حرفٌ ، كما قالَ أبو بكرِ بنُ شُقيرٍ ، وأبو عليٍّ الفارسيُّ . وذلكَ لدلالةِ الجنسِ ، ودلالةِ العلاماتِ المُطَّردةِ ، والغالبةِ .

أمَّا لَحاقُ تاءِ التَّأنيثِ السَّاكنةِ ، وضمائرِ الرَّفعِ بها ، فلهُ توجيهٌ لعلِّي أفيضُ الكلامَ عليهِ ، وعلى حقيقةِ (ليس) عامَّةً في موضعٍ آخرَ إن شاءَ الله .

ونرجعُ إلى حدَّي الاسمِ ، والحرفِ :

- فحدُّ الاسمِ : كلمةٌ دالَّة على معنًى في نفسِها ، غيرِ مقترنٍ بزمنٍ محصَّلٍ .
- وحدُّ الحرفِ : كلمةٌ دالَّةٌ على معنًى في غيرِها فقط .

وإذا نظرنا في (بعضٍ) ، وجدناها تدلُّ بنفسِها على ذاتٍ ؛ تقولُ : « هؤلاءِ بعضُ النَّـاسِ ، وهؤلاءِ بعضٌ » ؛ فلا تـحتاجُ إلى اسمٍ بعـدها تُتـمِّمُ بها معناها ؛ لأنَّ

(بعضًا) تُفهِم بنفسِها صورةً تامَّةً ، إذا كانَ معلومًا بالسِّياقِ الجنسُ الَّذي يُنمى إليه هـذا (البعضُ) ، كمـا تقولُ : « هؤلاءِ نِصفُ النَّـاسِ ، وهؤلاءِ نِصفٌ » . ولـولا أنَّ (بعضًا) ، و (نصفًا) من الألفاظِ العامَّةِ الَّتي تُطلَق على أجناسٍ متعدِّدة مختلِفةٍ ، لما احتجتَ إلى وضعِها في كلامٍ ، ليستبينَ لك معناها تامًّا .

وليسَ صوابًا قولُ مَن ادَّعى أنَّ التَّنوينَ في (بعضٍ) تنوينُ عِوَضٍ ؛ فإنَّ تنوينَ التَّمكينِ سابقٌ لهُ ؛ فأيَّ شيءٍ أفادَ هذا التَّنوينُ الجديدُ ؟ والَّذي أدخلَ عليهم اللَّبسَ أنَّ هذا اللَّفظَ ونحوَه ، كـ (جُزءٍ ، وكُلٍّ ، ونصفٍ) منَ الألفاظِ العامَّة الَّتي ليسَ لها حقيـقةٌ ثابتةٌ ؛ وإنَّمـا تُطلَقُ على كُلِّ ذي أفرادٍ من أيِّ جنسٍ كانَ . فلهذا كانَ قولُك : « هؤلاءِ بعضٌ » ، كقولكَ : « هؤلاءِ قومٌ » ، إلَّا ما ذكرتُ من اختلافِ النَّوعَينِ من جهةِ الانحصارِ ، والعمومِ .

أمَّا (مِن) ، فإنَّها وإن قارَبت (بعضًا) شيئًا من المُقارَبةِ ، فبينَهما عندَ التَّحقيقِ فرقٌ ؛ وهو أنَّ (مِن) لا يُفهَمُ معناها إلَّا بغيرِها ؛ فلا تقولُ : « هؤلاءِ مِن » حتَّى تأتيَ بعدَها باسمٍ . فهذا بشيءٍ من الاختصارِ بيانُ الاختلافِ بينهما في الحدِّ ، وصدقِ انطباقِه عليهما .

❀❀❀

أمَّا الخواصُّ ، فضربانِ : مطَّرِدةٌ ، وغالبةٌ :

فالخواصُّ المُطرِدةُ : يُكتفَى بها ، وتُوجِب المصيرَ إلى لازمِها . والخواصُّ الغالبةُ : يُؤخذُ بها متى عُدِمت المُطَّرِدةُ ، ولم ينكشفِ الحدُّ ؛ وهي الَّتي تُسمَّى في قوانينِ الاحتجاجِ بـ (الحملِ على الغالِبِ) ، على أنَّ ذِكرَها هنا داعٍ للاستئناسِ ، وتثبيتِ الرَّأيِ .

وإنَّما احتَجنا إلى النَّظرِ في الخواصِّ ، لأنَّ الحدَّ رُبَّما يخفَى أحيانًا ، أو يكونُ غيرَ صريحِ الدِّلالةِ ، أو رُبَّما لا نعلَمُ قصدَ العربِ في اللَّفظِ نفسِهِ . ولأنَّ النَّظرَ في الخواصِّ أيسرُ أيضًا ، وأقلُّ مئونةً على النَّاظرِ .

أمَّا الخواصُّ المطَّردةُ :

فمنها :

- أنَّك تقولُ : « إنَّ مِن البَيانِ لسِحرًا » ، وتقولُ : « إنَّ بعضَ البَيانِ لسِحرٌ » . وهذه علامةٌ تركيبيةٌ ، بيِّنةٌ كُلَّ التَّبيُّنِ .
- وعدمُ قَبولِها علامةً من علاماتِ الأسماءِ .

وأمَّا الخواصُّ الغالبةُ :

فمنها :

- عدمُ اشتقاقِ الكلمةِ .

- وكونُها على حرفينِ ، كما يغلبُ على الحروفِ .
- وبِناؤها .
- وأنَّ معنى (التَّبعيضِ) فيها لم يدلَّ عليه اللَّفظُ بالوضعِ ؛ إذ الأصلُ في معنى (مِن) الابتداءُ ، كما الأصلُ في معنَى (الباء) الإلصاقُ ؛ وإنما دَلَّ عليه بالتَّفرُّعِ عن المعنَى الأصليِّ . وهذا أشبُه بالحروفِ .

❋❋❋

وبقِيَ أيضًا أن نذكرَ قانونًا من قوانينِ الاحتجاجِ آخرَ ؛ وهو قانونُ (عدمِ تردُّدِ الشَّيءِ الواحدِ بينَ حقيقتَينِ ، أو معنيَينِ ما أمكنَ) .

وذلكَ أنَّكَ إذا جعلتَ (مِن) مرةً اسمًا ، ومرةً حرفًا ، كانَ هذا أقربَ إلى أن يُخالِفَ ناموسَ اللُّغةِ ، لأنَّ حقيقةَ الاسميَّةِ مُباينةٌ كُلَّ المُبايَنةِ حقيقةَ الحرفيَّةِ .

والحرفُ إذا وُضِع لمعنًى مَّا ، وكان له حقيقةٌ ثابتةٌ ، لم ينتقِلْ مِن حقيقتِه إلَّا بمَجازٍ مقبولٍ ، أو توسُّعٍ مُتصوَّرٍ في الذِّهنِ ، جارٍ على عوائدِ التَّطوُّرِ . ولذلك ذَكرَ سيبويهِ أنَّ جميعَ معاني الباءِ راجعةٌ إلى الإلزاقِ ، والاختلاطِ .

أمَّا (ما) ، فإنَّما كانت في بعضِ حالاتِها اسمًا ، وفي الأُخرى حرفًا ، لأنَّهما

وُضِعتا على هاتَين الحقيقتَين وضعًا واحدًا ، واتفقَتا في الصُّورةِ . وليسَ أحدُهما تَطوُّرًا من الآخَرِ ، أو توسُّعًا فيه ، لمناقضةِ هذا لقوانينِ التَّطوُّرِ .

وهذا يَجري على أكثرِ حروفِ الجرِّ ؛ فإنَّ كثيرًا من النُّحاةِ ، ولا سيَّما مـمَّن يقِفُ عندَ المعنى الظَّاهرِ ، كابن مالكٍ [وقد أشارَ إلى هذا الشَّاطبيُّ في أكثرَ من موضعٍ] ، لا ينظرونَ إلى أصولِ المعاني ، وأسبابِ التَّوسُّعِ فيها . وظنِّي أنَّ الَّذي حملَهم على هذا وَلوعُهم بالاستكثارِ من الإحصاءِ ، كما فعلوا في علاماتِ الاسمِ ، ومُسوِّغاتِ الابتداءِ بالنَّكرةِ ؛ وإنْ كانت كُلُّها ترجِعُ إلى شيءٍ واحدٍ .

❀ ❀ ❀

أمَّا استدلالُ هذا المُدَّعي اسميَّـتَها بوُقوعِها موقِعَ (بعضٍ) ، فليسَ دليلاً :

- لأنَّ اسم الفـعلِ - وهو اسمٌ على رأيِهم - يقعُ موقِـعَ الفِـعلِ ؛ تقولُ : (انزِل) ، و(نزالِ) ، و(اسكُت) ، و(صَه) .
- ولأنَّ (ليسَ) - وهو فعلٌ عندَهم - يقعُ موقِعَ (ما) ؛ وهي حرفٌ .
- ولأنَّ بعضَ حروفِ الجرِّ ، كحرفِ الباءِ يقعُ أيضًا موقعَ الاسمِ (بدَل) ، ونحوِه . وهو حرفٌ باتِّفاقٍ في ما أعلمُ .

وأمَّا وقوعُها موقِع الفاعلِ حيثُ لا فاعلَ ، وموقعَ المفعولِ حيثُ لا مفعولَ ، فعلى حذفِ الفاعلِ ، والمفعولِ لدلالتِها عليهِما ، كما حُذفَ المبتدأُ في قولِه تعالى : ﴿ وَمَامِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات 164] ، وغيرِه .

❀ ❀ ❀

وهذا تعقيبٌ كتبتُه من قبلُ ، لعلَّه يحسُنُ أن يوضعَ هنا :

لا شكَّ أنَّ النَّظَرَ إلى الكلمةِ بعدَ تركيبِها ابتغاءَ معرفةِ حقيقتِها ممَّا يُحتاجُ إليهِ ؛ ولكِن على ألَّا يُناقِضَ ذلكَ الحدودَ الموضوعةَ ، أو يُفرِّقَ بينَ المُتماثلَين . وأنا ذاكرٌ الآنَ شيئًا من أثرِ التَّركيبِ في الاستدلالِ على الحقائقِ ؛ وذلكَ في صنفَين :

- **الأوَّلُ** : أن يلتبسَ الغرضُ من وضعِ العربِ للَفظٍ من الألفاظِ ، فيُفزعَ إلى العلاماتِ لمعرفتِه . من ذلكَ اختلافُهم في (لـمَّا) ، و (إذْ ما) ، و (مهما) أَسمٌ هي أم حرفٌ ؟

  وهذا مذهبٌ صحيحٌ مقبولٌ .

- **الثَّاني** : أن يكونَ الحدُّ دالًّا على نوعِ الكلمةِ ؛ ولكِن يعارِضُه بعضُ العلاماتِ ؛ فيأخذُ النُّحاةُ بها ، ولا يلتفتوا إلى دلالةِ الحدِّ .

وهذا المذهبُ مرفوضٌ ، لأنَّ العلاماتِ دَلائلُ تركيبيَّةٌ ، والحدودَ دلائلُ إفراديَّـةٌ ،

ولأنَّ العلاماتِ من لوازمِ الجنسِ ، وقد تتخلَّفُ ، أو توجدُ في غيرِ موضعِها ، وربَّما لم يُسلَّم بها ، والحدودُ هي السَّبيلُ إلى معرفة الجنسِ ذاتِه ، لا لازمِهِ .

والنَّظرُ إلى المُفردِ مُقدَّمٌ على النَّظرِ إلى التَّركيبِ ، والنَّظرُ إلى الجنسِ مُقدَّمٌ على النَّظرِ إلى لازمِه ، ومن أمثلةِ ذلك عندَهم :

1. ادِّعاؤهم أنَّ (هلُمَّ) في لُغةِ الحجازِ اسمٌ ، وفي لُغةِ تميمٍ فِعلٌ ، لا لفرقٍ في الدِّلالةِ ؛ وإنَّما لأنَّ الأوَّلَ لا تتَّصلُ به الضَّمائرُ ، والثَّاني تتَّصلُ بهِ .
2. ادِّعاؤهم أنَّ (عَسى) فِعلٌ ؛ ولكنَّه إذا اتَّصلَ بها ضميرُ نصبٍ صارَت حرفًا من أخواتِ (إنَّ) النَّاصبةِ ، كما قالَ الشَّاعرُ :

*** فَقُلتُ : عَساها ضَوءُ نارٍ ، وعَلَّها ***

مع أنَّ دلالتَهما واحدةٌ .

3. ادِّعاؤهم أنَّ الكافَ و(على) و(مِن) حروفٌ ؛ ولكنَّه إذا دخلَ عليها حرفُ جرٍّ أصبحت أسماءً ، كقولِ الشَّاعرِ :

*** يَضْحَكْنَ عَن كَالبَرَدِ المُنهَمِّ ***

والآخرِ :

*** غَدت مِن علَيه بعدَ ما تمَّ ظِمؤها ***

والآخرِ :

*** مِن عَن يَميني مرَّةً ، وأَمامي ***

4. ادِّعاؤهم أنَّ (أل) حرفٌ ؛ ولكنَّه إذا وليَها صفةٌ صريحةٌ فهي اسمٌ .
5. ادِّعاؤهم أنَّ (إذ) اسمٌ ؛ فإذا كانت للتَّعليلِ ، والمُفاجأةِ كانت حرفًا ، - وهذا رأيُ بعضِهم - .
6. ادِّعاؤهم أنَّ (ما) تكونُ اسمًا في مواضعَ ، وحرفًا في مواضعَ أُخَرَ .
7. ادِّعاؤهم أنَّ (عدا) ، و (خلا) تكونانِ أفعالاً ، وتكونانِ حروفًا .
8. ادِّعاؤهم أنَّ واوَ الجماعةِ ، وألفَ الاثنَين أسماءٌ ؛ فإذا وقعتا في لغةِ (أَكَلُوني البَراغيثُ) ، كانت حروفًا .

وهذا الصِّنفُ مُطَّرَحٌ مرفوضٌ في مُعظَمِه ، إمَّا لعدمِ ثُبوتِ الدَّليلِ على اختلافِ الحقيقتَينِ ، كما في (أل) ، أو لثُبوتِ أنَّ أحدَهما أعمُّ من الآخرِ ، وأنَّه أصلُه ، كما في (إذْ) ، أو غيرِ ذلك . ولا يُصارُ إلى ادِّعاءِ أنَّ العربَ وضعتِ الكلمةَ على وضعَينِ ، إلَّا إذا امتنعَ حملُ إحداهما على الأُخرى ، كما في (ما) الحرفيَّةِ ، والاسميَّةِ ، و(خلا) ، و(عدا) .

ولا يُعتدُّ بالنَّظرِ في العلاماتِ باديَ الرَّأيِ ، لإثباتِ التَّفرقةِ ، لأنَّ العلاماتِ أمرٌ

عارضٌ بعدَ التَّركيبِ ؛ والتَّركيبُ لا يُغيِّرُ الحقائقَ ؛ إذ هي ثابتةٌ قبلَه ؛ ولكنَّه ممَّا يُستدَلُّ به عليها عندَ عدَمِ معرفتِها .

❀❀❀

وأمَّا (مُنذُ) و (مُذ) فمِن الصِّنفِ الأوَّلِ ، لأنَّا لم ندرِ غرضَ العربِ منه :

- أفأرادوا في نحوِ قولِهم : « ما رأيتُه منذُ يومانِ » أن يجعلوا (منذُ) لفظًا مُستقِلًّا بنفسِه ، معناه « أَمدُ ذلك » ؟
- أم أرادوا أن يجعلوه لفظًا معناه لغَيرِه ؛ فيكونُ بمعنى (مِن) ؟

فلمَّا اشتبهَ على النُّحاةِ أمرُه ، انقسَموا ثلاثةَ أقسامٍ :

1. فبعضُهم رأى حرفيَّتَه ، وأوَّلَ ما أَوهمَ الاسميَّة من استعمالاتِه .
2. وبعضٌ رأى اسميَّتَه ، وأوَّلَ ما أَوهمَ الحرفيَّةَ .
3. وبعضٌ رأى اسميَّتَه في مواضعَ ، وحرفيَّتَه في مواضعَ أُخَرَ .

وعندي أنَّ أضعفَها الوجهُ الثَّالثُ ؛ لأنَّه لا فرقَ بينَ معنى ما ادُّعيَ فيه الاسميَّةُ منهما ، ومعنى ما ادُّعيَ فيه الحرفيَّةُ . ألَا ترى أنَّهم يقولونَ : « إذا وليَهما مجرورٌ ، فهما حرفانِ ، وإذا وليَهما مرفوع ، أو جملةٌ ، فهما اسمانِ » ؛ فعلَّقوا معرفةَ حقيقتِها على ما

بعدَها إذا رُكِّبَت ، لا على معناها .

والأرجحُ عندي أنَّهما حرفانِ ، لأسبابٍ يطولُ ذكرُها .

❋❋❋

من حلقة البلاغة والنقد

تأملات بلاغية في

آيات الصيام

(١)

جبران سحَّاري

تأملات بلاغية في
آيات الصيام
(1)

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، القائلِ في مُحكمِ التَّبيينِ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء 192 – 195] ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على خاتَمِ النَّبيِّينَ ، وإمامِ المُرسَلين ، وأفصحِ النَّاطقينَ ، وقائدِ الغُرِّ المحجَّلين ، وعلى آلِه وصَحبِه أجمعِين ، ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين ، أمَّا بعدُ :

فإنَّ بلاغةَ القُرآنِ الكريمِ لُبُّ الإعجازِ ، وأُسُّ التَّحدِّي ، والعلمُ بها آيةُ التَّدبُّرِ والخشوعِ ، وفَهمِ حقائقِ كلامِ الله ومعانيه على الوَجهِ الصَّحيحِ ، ولها في هذا عظيمُ الأثرِ ؛ فإنَّ عِلمَ البلاغةِ مُستنبَطٌ مِن كلامِ العربِ وآدابِها ، ومحاسنِ عباراتِها ، والقُرآنُ تحدَّى العربَ بمُعجزِ لفظِه ، وباهرِ نظمِه .

وقد كانَ لي في شهرِ رمضانَ الَّذي أُنزلَ فيه القرآنُ (تأمُّلاتٌ بَلاغيَّةٌ في آياتِ

الصِّيامِ في القرآنِ الكريمِ) ... وإنِّي أنشرُها هنا في هذا المُلتقى لدُعاءِ الحاجةِ إليها ، ولتكونَ عونًا على تدبُّرِ هذه الآياتِ في شهرِ القُرآنِ ، وهذا موضوعٌ مهمٌّ بحاجةٍ إلى مَزيدٍ من التَّأمُّلِ والدِّراسةِ ، والبَحثِ والنَّظرِ ، فمع هذه التَّأمُّلاتِ الموجَزةِ ، والله وليُّ التَّوفيقِ والسَّدادِ .

❀❀❀

قال الله تعـالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ
مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا
دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ
نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ
عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ
وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [البقرة 183– 187] .

❁❁❁

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ... ﴾ .

فيها من البلاغة :

1. بلاغةُ النِّداءِ حيثُ أتى بحرفِ النِّداءِ (يا) وهو أُسُّ البابِ ، ويُستعمَلُ في الأصلِ لِنداءِ البعيدِ ؛ فناسبَ الإتيانُ به هُنا لتَعظيمِ شأنِ ما بعدَه .
2. ربطُ المُنادَى بهاءِ التَّنبيهِ (أيُّها) لمزيدِ ترابُطِ الكلماتِ وتناسُقِها والإشعارِ بالتَّنويهِ .
3. تعظيمُ شأنِ المُخاطَبين مِن المؤمنين ؛ حيثُ أتى بالاسمِ الموصولِ ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ .
4. بلاغةُ اختيارِ الفعلِ الواقعِ صلةً للموصولِ ﴿ ءَامَنُواْ ﴾ ؛ لأنَّ الإيمانَ أعلى مَرتبةٍ تستلزمُ الإذعانَ للأمرِ والتَّكليفِ .
5. التَّعبيرُ بالكتابةِ عن الفَرضِ ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ لبيانِ تقرُّرِ الفرضِ ، وأنَّه مكتوبٌ عليكُم ، قد فرغَ أمرُه وانقضى ، فليسَ وراءَه سوى الاستجابةُ والتَّسليمُ .
6. بناءُ الفعلِ ﴿ كُتِبَ ﴾ للمَفعولِ لتقرُّرِ العلمِ بفاعلِه جلَّ شأنُه ، وجاءَ معه ﴿ عَلَيۡكُمُ ﴾

لبيانِ عُلوِّ الآمِرِ ، وعبَّرَ بالصِّيامِ لكونِه اسمًا لهذه العبادةِ معروفًا لدى المُخاطَبين ، ففيه نُكتةُ التَّخصيصِ ، ولم يُعبِّر بالمصدرِ الذي هو (الصَّومُ) لعُمومِه .

7. تعليلُ فرضيَّةِ هذا الحكمِ ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ وفيه :

- أنَّ الأحكامَ مُعلَّلةٌ .
- وفيه التَّسهيلُ على النُّفوسِ للامتثالِ فإنَّكم مَسبوقونَ إليه .
- وأنَّ شرعَ مَن قبلَنا إذا أقرَّه شَرعُنا وجبَ التَّسليمُ له والانقيادُ .
- وفيه مشروعيَّةُ القياسِ .

8. بيانُ الحكمةِ من فرضِ الصِّيامِ على المؤمنِينَ ، وهو حصولُ التَّقوى ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ وهذه مِن أعظمِ ثَمراتِه .

9. بلاغةُ التَّعبيرِ عن المقدارِ الواجبِ صومُه : ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ فلَم يقُل : شهرًا ، أو ثلاثينَ يومًا ، أو تسعةً وعشرينَ ؛ دَفعًا لاستثقالِ هذا العددِ ، وإنَّما قالَ : ﴿ أَيَّامٗا ﴾ ؛ تسهيلًا على النُّفوسِ ، وبيانِ أنَّها معدودةٌ معروفةٌ عند النَّاسِ .

10. قال العلَّامةُ الطَّاهرُ ابنُ عاشور في تفسيرِه (التَّحريرِ والتَّنويرِ 2/ 159) : « وإنَّما عبَّرَ عن رمضانَ بأيَّامٍ وهي جمعُ قلَّةٍ ، ووصفَ بمعدوداتٍ وهي جمعُ قلَّةٍ أيضًا ؛ تهوينًا لأمرِه على المُكلَّفِين ، والمعدوداتُ كنايةٌ عن القلَّةِ ؛ لأنَّ الشَّيءَ القليلَ يُعدُّ عدًّا ؛ ولذلكَ يقولونَ : الكثيرُ لا يُعدُّ ، ولأجلِ هذا اختِير في وصفِ الجمعِ مجيئُه

في التَّأنيثِ على طريقةِ الجمعِ بألفٍ وتاءٍ » اهـ

قلتُ : قد يُسلَّمُ له باديءَ الأمرِ بهذا التَّوجيهِ ؛ ولكن بعدَ التَّأمُّلِ تبيَّنَ أنَّه لا يُعرفُ في لُغةِ العربِ أنَّ اليومَ يُجمعُ على غيرِ (أيَّامٍ) فليسَ له جمعُ كثرةٍ لكي يُجتنبَ ، ويُختارَ جمعُ القلَّةِ بدلًا عنه !

وأمَّا أنَّ الوصفَ في قولِه : ﴿ مَّعۡدُودَٰتٍ ﴾ بألفٍ وتاءٍ هو جمعُ قلَّةٍ أيضًا فنعم ، هذا اختيارُ سيبَوَيه في (الكتاب 3/ 609) فإنَّه قالَ : « وإذا أردتَّ ما هو أَدنى العددِ جمعتَ بالتَّاءِ تقولُ : خبراواتٌ وصحراواتٌ ... » اهـ

وفي هذا يقولُ النَّاظمُ :

بـ (أَفْعُلٍ) وبـ (أَفْعالٍ) و(أَفْعِلَةٍ) و(فِعْلَةٍ) يُعرفُ الأدنَى مِن العَدَدِ

وسالِـمُ الجَمعِ في النَّوعينِ يَتبعُها في ذلكَ الحُكمِ فَاحفَظْها ولا تَزِدِ

فالجمعُ السَّالمُ بالألفِ والتَّاءِ يَتبعُ جُموعَ القِلَّةِ على الصَّحيحِ ؛ فكانَ مِن بلاغةِ الآيةِ اختِيارُ هذا الوصفِ ﴿ مَّعۡدُودَٰتٍ ﴾ ، ولم يقُل : (معدودة) معَ جوازِ الوجهَينِ ، وبهما جاءَت الآياتُ في القُرآنِ ، واللهُ أعلَمُ .

❀ ❀ ❀

قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ... فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾ .

فيها من البلاغة :

1. بلاغةُ العطفِ بالفاءِ ﴿ فَمَن ﴾ ؛ للتَّفريعِ على حُكمٍ سابقٍ ، وهو فرضُ الصِّيامِ .

2. بلاغةُ الشَّرطِ ﴿ فَمَن ﴾ ، فإنَّ اسمَ الشَّرطِ (مَن) يفيدُ العُمومَ .

3. بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعلِ النَّاسخِ ﴿ كَانَ ﴾ ، فإنَّه يفيدُ ثُبوتَ الـخبرِ للاسمِ في الزَّمنِ الماضي ، وقد يفيدُ الاستمرارَ حسبَ القرينةِ .

4. التَّنصيصُ على المُخاطَبين ﴿ مِنكُم ﴾ ، وهو لهم ولغيرِهم مِن المسلمين ، ولكن جَرى الخطابُ مجرَى الرِّفقِ بهم .

5. شُمولُ العُذرِ لجميعِ المكلَّفين ﴿ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ ، فإنَّ مُسوِّغاتِ الفِطرِ لا تكادُ تَخرجُ عن هذَين النَّوعَين ، أو ما أُلحِقَ بهما .

6. حُسنُ تصويرِ العُذرِ الثَّاني ﴿ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ ، ولـم يقُل : مُسافِرًا ؛ لدَفعِ توهُّمِ إطلاقِ المُسافِرِ على الآيبِ مِن سفرِه باعتبارِ ما كانَ على عادةِ العربِ في ذلك ؛ فأكَّدَ ذلك بما يُفيدُ الاستمرارَ ﴿ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ ، وليَشملَ حالَ المُسافرِ مِن السَّيرِ والنُّزولِ معَ بقاءِ

مشقَّةِ التَّرحُّلِ .

7. بلاغةُ الحذفِ ، وهو الفعلُ المقدَّرُ (فأَفطرَ) ، وطواهُ للعِلمِ به ، والحذفُ مِن أساليبِ البلاغةِ العُليا إذا كانَ المحذوفُ مَعلومًا .

8. بلاغةُ جملةِ جوابِ الشَّرطِ ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ : فإنَّه فتحَ له بابَ القضاءِ بذكرِ أَيَّامٍ أُخرَ ، وأنَّها عِدَّةٌ ؛ تَيسيرًا عليه لقضائِها في أيِّ وقتٍ ، ولكَي تَطيبَ نَفسُه بقَبولِ رُخصةِ الله له بالفِطرِ .

9. مجيءُ جملةِ جوابِ الشَّرطِ خبرًا بمَعنى الأمرِ ؛ أي : (فَعلَيه عِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ) وجوبًا ؛ كقولِه تعالى : ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْـمَعرُوفِ ﴾ [البقرة 178] .

10. بلاغةُ التَّفصيلِ مع الإيجازِ بالحذفِ في قولِه : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ ﴾ أي : على من كان يُطيقُ الصِّيامَ فلم يَصُم فديةٌ ، مع تفضيلِه الصَّومَ في هذه الحالِ ، وهذا قبلَ نَسخِ الآيةِ بما بعدَها على أصحِّ أقوالِ المُفسِّرينَ رحمهُم اللهُ .

11. بلاغةُ الحذفِ في الآيةِ على القولِ بعدَمِ نَسخِها ، والتَّقديرُ : (وعلى الَّذين لا يُطيقونَه) ، وحُذفَ النَّفيُ للعلمِ به ، ولدَلالةِ ما بعدَه ﴿ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ ﴾ .

12. بلاغةُ التَّعبيرِ بالإطاقةِ لدلالتِها على التَّكليفِ في قراءةِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (يُطَوَّقُونَهُ) الثَّابتةِ في (صحيحِ البُخاريِّ) وغيرِه ، أي : يُكلَّفونَ صِيامَه وهُم لا يُطيقونَه إلَّا بصُعوبةٍ ومشقَّةٍ .

13. بلاغةُ وصفِ الفديةِ ﴿ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ ، والمعنى : إطعامُ مسكينٍ عن كُلِّ يومٍ أفطرَه ؛ تَسهيلًا على النَّفسِ مبدأَ التَّكليفِ ، وطَوى تَفصيلَ الحسابِ تاركًا ذلك للمُكلَّفِ .

14. بلاغةُ التَّفريعِ على الحكمِ مرَّةً أخرى ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ أي : تطوَّعَ بالصِّيامِ قبلَ فرضِه ابتغاءَ الخيرِ ، فقد نالَ هذه الخيريَّةَ ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ .

15. تأكيدُ أهمِّـيَّةِ الصِّيامِ وعظيمِ هذه الخيريَّةِ ، وتفضيلِها على غيرِها بقولِه : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

هذا بعضُ ما ظَهرَ وتيسَّر ، وللحديثِ بقيَّةٌ ، واللهُ تعالى أعلَمُ .

❀ ❀ ❀

من آفات الكتابة

مئة لا مائة

محمد تبركان

من آفات الكتابة

مِئة لا مائة

لقد درجَ أكثرُ النَّـاطقِين بالضَّـادِ من العامَّـةِ – وبعضِ الخاصَّـةِ – على لفظِ كلمة (مِئَة) بفتحِ الميمِ ، مع زيادةِ الألفِ بعدَها ، كذا : (مَائَة) ! وهما – لعَمْري [1] – خَطآنِ لا تكادُ تسمعُ أحدًا مـمَّن يُظنُّ به أنَّ له في العلمِ سابقةً إلَّا وقعَ فيه ، خطأً في اللَّفظِ ، أو غلطًا في الرَّسمِ ؛ وما ذلك إلَّا مُجاراةً لإلفِ العادةِ ، من غيرِ بَصَرٍ ، ولا إمعانِ نَظَرٍ في مَلفُوظِ لسانِه ، ومَرْقُومِ يَراعتِه ؟! بل حتَّى مصادرُ اللُّغةِ العربيَّةِ لم تخلُ من هذا الغلطِ [2] .

---

(1) هذا من أساليبِ العربِ في الخطابِ والكتابِ ، ولستُ أقصدُ به القَسمَ ، كما يدلُّ عليه ظاهرُ اللَّفظِ .

(2) أعني زيادةَ الألفِ بعدَ الميمِ المكسورةِ .

ولك أن تتبيَّن شيئًا من ذلك في :

- لسانِ العربِ (15/ 269–271) .
- المصباحِ المُنيرِ (349 ع2) . =

ولولا الغَيرةُ على هذه اللُّغةِ الشَّريفةِ ، لُغةِ الوحيَينِ ، واللِّسانِ المُبينِ عن مُرادِ ربِّ العالَمين ، لما أرهقتُ النَّفسَ ، فيما تلوكُه الألسنةُ من الغلطِ ، وترقمُه الأكفُّ من الشَّطَطِ .

هذا ، و(العربيَّةُ) كامنٌ حبُّها في شَغافِ القلبِ ؛ فبها تعرَّفنا تاريخَ الأسلافِ ، ومن روافدِها نَهلنا علومَ الأشرافِ .

فتصوَّر – يا رعاكَ الله – مدى الضَّررِ البالغِ ، والخطرِ السَّابغِ ، إذا غُضَّ الطَّرفُ عن هذا الغلطِ وأمثالِه ، فلم يُبيَّن ، ولم يُكشَف عُوارُه لأبناءِ العروبةِ ، النَّاشئِين في أحضانِ الضَّادِ !

❀ ❀ ❀

وهـذا أوانُ الكشفِ عن الغلطِ في مَرسومِ لفـظةِ (مِئـة) ، وملفوظِها ، فأقولُ : إنَّه غَلَطٌ قديمٌ ، انبَنى على أساسٍ سليمٍ إبَّـانَ حقبةٍ من الزَّمنِ ، كانَ أهلُـها أهلَ عُذرٍ ،

= – مُختارِ الصَّحاحِ (ص613 ع1) .

– أساسِ البلاغةِ (ص 221 ، 382 ، 419) .

– فصيحِ ثعلبٍ (ص103) .

– المُعجمِ الوسيطِ (ص107 ع2 ، و ص852 ع2 ، و ص1040 ع3) .

ومحلَّ فضلٍ وشُكرٍ .

❖ أمَّا كونه غلطًا قديمًا :

فذلكَ راجعٌ إلى فترةِ جمعِ القرآنِ الكريمِ ، ثُمَّ تدوينِه في مصحفٍ جامعٍ زمنَ الخليفةِ الرَّاشدِ عثمانَ بنِ عفَّانَ رضي اللهُ عنه . فقد رُسِمَت فيهِ [1] لفظةُ (مِئَة) بالألفِ [2] ، وكذا لفظةُ (مِائَتَيْن) – وكانوا حينها لا يَنقُطونَ ، ولا يُشْكِلونَ – احترازًا من الوقوعِ في اللَّبسِ الحاصلِ منَ الشَّبَهِ بينَ هذهِ اللَّفظةِ (مِئَة) ، وبينَ ما يُشاكلُها في الرَّسمِ من الكلماتِ العربيَّة ، مثلَ كلمةِ (مِنه) .

فطَردًا لهذا الإشكالِ ، وصيانةً لكلامِ الله من وقوعِ اللَّحنِ فيهِ ؛ حالَ قراءتهِ ومُدارستهِ ، زيدتِ الألفُ في لفظةِ (مِئَة) ؛ فصارت (مِائَة) . يؤيِّدُ هذهِ المقالةَ تقريراتُ بعضِ الأعلامِ ، فمنهم :

1. الآلوسيُّ في (روحِ المعاني 7 / 19 / 84 – سورة النَّمل) حيثُ قالَ نقلًا عنِ ابنِ خلدونَ

---

(1) نعم ، لقد رُسِمت لفظةُ (مِائَة) ، بالألفِ في القرآنِ الكريمِ في ثمانيةِ مواضعَ ، ورُسمت في موضعينِ منه بلفظِ (مِائَتَيْن) ، كُلُّ ذلكَ في خمسِ سورٍ ، وهي : البقرة : 259 ، 261 ، والأنفال : 65 – 66 ، والكهف : 25 ، والنُّور : 2 ، والصَّافات : 147 .

(2) تُسمَّى هذهِ الألفُ بـ (الألفِ الفارقة) ، عن : كيفَ تكونُ فصيحًا ؟ (ص34) .

في مقدمةِ (تأريخِه) [1] : « إنَّ الكتابةَ العربيَّةَ كانت في غايةِ الإتقانِ والجودةِ في حِميرَ ، ومنهم تعلَّمَها مُضَرُ ، إلاَّ أنَّهم لم يكونوا مُجيدين ؛ لبُعدِهم عنِ الحضارةِ ، وكانَ الخطُّ العربيُّ أوَّلَ الإسلامِ غيرَ بالغٍ إلى الغايةِ من الإتقانِ والجودةِ وإلى التوسُّطِ ؛ لِمكانِ العربِ من البداوةِ والتَّوحُّشِ ، وبُعدِهم عنِ الصَّنائعِ . وما وقعَ في رسمِ المصحفِ من الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهم منَ الرُّسومِ المخالِفةِ لِما اقتضَتهُ أَقيسَةُ رسومِ الخطِّ وصِناعتِه عندَ أهلِها ، كزيادةِ الألِفِ في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُ ﴾ ؛ من قِلَّةِ الإجادَةِ لصَنعةِ الخطِّ . واقتفاءُ السَّلفِ رسمَهم ذلك من بابِ التَّبرُّكِ » اهـ

2. الزُّرقانيُّ في (مَناهلِ العِرفانِ 1/ 255) حيثُ قالَ : « ب ـ رسمُ المصحفِ : رسمُ المصحفِ يُرادُ به الوَضعُ الَّذي ارتضاهُ عثمانُ رضيَ اللهُ عنه في كتابةِ كلماتِ القرآنِ وحروفِه ، والأصلُ في المكتوبِ أن يكونَ موافقًا تمامَ الموافقَةِ للمنطوقِ من غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ ولا تبديلٍ ولا تغييرٍ ، لكنَّ المصاحفَ العثمانيَّةَ قد أُهمِلَ فيها هذا الأصلُ فوُجِدَت بها حروفٌ كثيرةٌ جاءَ رسمُها مُخالفًا لأداءِ النُّطقِ ؛ وذلك لأغراضٍ شريفةٍ ظهرَت وتظهرُ لك ... » اهـ

3. الرَّاغبُ الأصفهانيُّ في (مُحاضراتِ الأدباءِ 2 / 4 / 434) حيثُ قالَ : « ما في

---

(1) (ص418 – 419 الفصل 309) . واعلم أنَّ الآلوسيَّ نقلَ كلامَ ابنِ خلدونَ بتَصرُّفٍ ، وإلَّا كانَ ينبغي أن يوضعَ كلامُ ابنِ خلدونَ أعلاهُ ! ، ومن ثَمَّ الاستغناءُ عن الواسطةِ .

القرآنِ من تغييرِ الكتابةِ : كانَ القومُ الَّذين كتبوا المصحفَ لم يكونوا قد حذِقوا الكتابةَ ؛ فلذلك وُضِعَت أحرفٌ على غيرِ ما يجبُ أن تكونَ عليه » اهـ

4. بل نصَّ على علَّةِ الزِّيادةِ في الكلمةِ نفسِها ابنُ قُتيبةَ في (أدبِ الكاتبِ ص200) : « بابُ ما زِيدَ في الكتابِ : ... و(مِائَة) زادوا فيها ألِفًا ليَفصلوا بها بينَها وبينَ (مِنه) ، ألَا ترى أنَّك تقولُ : أخذتُ مِائَةً ، وأخذتُ مِنهُ . فلو لم تكُن الألفُ لَالتبسَ على القارئِ » اهـ

ثُمَّ أجمعَ العُلماءُ على اعتمادِ هذا الرَّسمِ الَّذي خُطَّ به القرآنُ الكريمُ زمنَ عثمانَ رضيَ اللهُ عنه ، وعدمِ جوازِ مُخالفتِه . ولذلك أضحَى يُسمَّى بـ (الرَّسمِ العُثمانيِّ) . قالَ في (مَناهلِ العِرفانِ 1/ 261) : « وانعقادُ الإجماعِ على تلك المُصطلَحاتِ في رسمِ المُصحفِ دليلٌ على أنَّه لا يجوزُ العُدولُ عنها إلى غيرِها » اهـ

ونقلَ في (البُرهانِ في علومِ القرآنِ 1/ 376) عن ابنِ دُرُستَوَيهِ قولَه : « خطَّانِ لا يُقاسُ عليهما : خطُّ المُصحفِ ، وخطُّ تقطيعِ العَروضِ » اهـ و مِثلُه نُقِلَ عن أبي البقاءِ في كتابِ (اللُّبابِ) [1] .

❀❀❀

(1) (2/ 481 - بابُ الخطِّ)

❖ وأمَّا كونه بُنِي على أساسٍ سليمٍ :

فلأنَّ النَّقطَ والشَّكلَ لم يُوضَعا على الكلماتِ العربيَّةِ إلَّا بعدَ جمعِ القرآنِ الكريمِ وتدوينِه ؛ وقد كانوا قبلَ ذلك لا يَنقُطونَ ولا يُشْكِلونَ الكلماتِ ؛ ويَقرؤونَها وهي غُفلٌ من النَّقطِ والشَّكلِ . واستمرَّ الحالُ على ذلك حتَّى جاءَ أبو الأسودِ الدُّؤليُّ فنَقَطَ الكلماتِ [1] نقطَ إعرابٍ ، ثُمَّ جاءَ بعدَه نصرُ بنُ عاصمٍ اللَّيثيُّ ويحيى بنُ يَعمَرَ العَدوانيُّ فنَقَطا الحروفَ نقطَ إعجامٍ بأمرٍ من الحجَّاجِ بنِ يوسفَ ، ثُمَّ جاءَ الخليلُ فابتكرَ رسمَ الحركاتِ حينَ التبسَ على النَّاسِ نقطُ الإعرابِ بنقطِ الإعجامِ .

ثُمَّ استقرَّ الإعجامُ في رسمِ الكلماتِ من أَمَدٍ بعيدٍ ؛ فلا ضرورةَ تدعو للإبقاءِ على هذه الألفِ ، الَّتي زالَ سببُها فخرجَت عن كونِها (فارِقَةً) .

1. قالَ في مُعجمِ القواعدِ الإعرابيَّةِ (حروفُ الزِّيادةِ) : « 2- القِسمُ الثَّاني : زيادَتُها في نحوِ : (مِائَة) فرقًا بينَها و بين (مِنْهُ) ، هذا حينَ لم يكُن همزٌ ولا إعجامٌ - أي : تَشكيلٌ - أمَّا وقد اختلفَ الحالُ فيَنبغي أن تُرجَعَ إلى أصلِها ، فتُكتَبَ (مِئَة) ، نحوَ (فِئَة) ، وكتابتُها (مِائَة) أفسدَ على كثيرٍ من النَّاسِ النُّطقَ بها على ما يجبُ أن تُنطقَ به ، وإنَّما يَنطِقونَ بها بألفٍ ... » اهـ

---

(1) مَناهلُ العِرفانِ (1/ 280) .

2. وقالَ الغَلاييني في (جامعِ الدُّروسِ العربيَّةِ 1/ 2/ 139) : « ما خالفَ رسمُه لفظَه : ... (2) ما يُكتَبُ ولا يُلفَظُ : ... ومن الفُضلاءِ مَن يكتبُها بياءٍ بلا ألفٍ ، هكذا : (مِئَة) . ومنهم مَن يكتبُها بألفٍ بلا ياءٍ ، هكذا (مِأَة) . ووجهُ القياسِ أَن تُكتَبَ بياءٍ بلا ألفٍ . وهذا ما نميلُ إليه . وإنَّما كانوا يكتبونَها بزيادةِ الألفِ ، يومَ لم تكُن الحروفُ تُنقَطُ ، كيلا تَشتبِهَ بكلمةِ (مِنه) ، المُركَّبةِ من (مِن) الجارَّةِ وهاءِ الضَّميرِ ، كما قالوا . قالَ أبو حيَّان : « وكثيرًا ما أَكتبُ أَنا (مِئَة) بلا أَلفٍ ، مثل : كتابةِ (فِئَة) ؛ لأنَّ زيادةَ الألفِ خارجةٌ عن الأقيِسَةِ » اهـ

❀ ❀ ❀

وبعدُ :

فهذا الَّذي اخترتُه في رسمِ كلمةِ (مِئَة) بحذفِ الألفِ ، في غيرِ مَرسومِ المصحفِ الشَّريفِ ، اختارَه العدنانيُّ في (مُعجَمِ الأخطاءِ الشَّائعةِ) ، وانتصرَ له وأيَّدَه بجُملةٍ من الأدلَّةِ ، لك أن تُطالِعَها في (ص232 – 233 رقم 973) .

وقالَ أَطفِيش في كتابِ (الرَّسمِ في تعليمِ الخطِّ ص33 – 35) : « قالَ ابنُ خَروفٍ : وكتابةُ (مِائَة) بغيرِ ألفٍ جيِّدٌ ... قالَ أبو حيَّانَ : « وكثيرًا ما أكتبُ أنا : (مِئَة) بغيرِ ألفٍ ، كـ (فِئَة) ؛ لأنَّ كَتْبَ (مِائَة) بالألفِ خارجٌ عن القياسِ ... قالَ :

« وحكَى صاحبُ البَديعِ أنَّ منهم مَن يحذفُ الألفَ من (مِائَة) في الخطِّ » اهـ

❁ ❁ ❁

ويراجَع :

1. أخطاءٌ أَلِفناها (ص 149) .
2. تطهيرُ اللُّغةِ (ص21 – 22 رقم35) .
3. القاموسُ المُحيطُ (1/ 1718 – فصلُ : الميم) .
4. كتابُ الرَّسمِ في تعليمِ الخطِّ (ص33 – 35) .
5. كيفَ تكونُ فصيحًا ؟ (ص34) .
6. مُعجَمُ الأخطاءِ الشَّائعةِ (ص256 رقم 1092) .
7. مَناهلُ العِرفانِ (1/ 256 ، 264 ، 266 – 267) .
8. نُصوصٌ في فقهِ اللُّغةِ (1/ 139 ، 145 – 148) .

❁ ❁ ❁

من حلقة فقه اللغة ومعانيها

آذان صاغية

من أخطاء التصحيح اللغوي

عائشة

آذان صاغية

من أخطاء التصحيح اللغوي !

ذَكَروا أنَّ من الأخطاءِ الشَّائعةِ قولَهم : « آذانٌ صاغِيَةٌ » ، وأنَّ الصَّوابَ أن يُقالَ : « آذانٌ مُصْغِيَةٌ » ، وعلَّلوا لذلك بأنَّ (مُصْغِية) اسمُ فاعلٍ مشتقٌّ من الفعلِ الرُّباعيِّ (أَصغى) ؛ بمعنى : استَمعَ ، أمَّا (صاغِية) ؛ فهو اسمُ فاعلٍ مشتقٌّ من الفعلِ الثُّلاثيِّ (صَغا) ، أو (صَغِيَ) ؛ بمعنى : مالَ ، والأُذنُ توصَفُ بالاستماعِ ، لا بالمَيلِ .

وفي هذه التَّخطئةِ نَظرٌ ؛ فالأفعالُ (صَغا) ، و(صَغِيَ) ، و(أَصغى) : جميعُها من مادَّةٍ تدلُّ على المَيلِ ؛ قال ابنُ فارسٍ في معجمِ (مقاييسِ اللُّغةِ) : « الصَّادُ ، والغينُ ، والحرفُ المعتلُّ : أصلٌ صحيحٌ ، يدلُّ على المَيلِ » اهـ فإذا قيلَ : « صَغا إليهِ سَمْعي ، وصَغِيَ » ؛ كانَ معناهُ : مالَ إليهِ سَمْعي ، وإذا قيلَ : « أصغَيتُ إليهِ سَمْعي » ؛ كانَ معناهُ : أَمَلتُ إليه سَمْعي .

وقالَ ابنُ جنِّي في (التَّنبيهِ على شرحِ مُشكلاتِ الحَماسةِ 1/ 328) : « فأمَّا قولُهم : « قد أصغيتُ إلَى هذا القولِ ، واستَمعتُه » ؛ فإنَّه أيضًا منقولٌ من « صغَا إليه

سَمْعي » ، غيرَ أنَّ المفعولَ محذوفٌ ؛ أي : أَمَلْتُ إليه سمعي ، وأولَيْتُهُ ذِهني » اهـ

وقال ابنُ سِيدَهْ في (المُحكَمِ) : « وصَغا إليهِ سَمْعِي يَصغُو صُغُوًّا ، وصَغِيَ صَغًا : مالَ . وأَصغى إِليه سمْعَهُ : أمالَهُ » اهـ والسَّمعُ يطلَقُ – في اللُّغةِ – على حِسِّ الأُذُنِ ، وعلى الأُذُنِ نفسِها .

وذَكَرَ الإمامُ ابنُ قُتَيْبَةَ في (أدب الكاتب 340 – باب «فَعَلْتُ» و«أَفْعَلْتُ» باتِّفاقِ المعنَى) أنَّ : « صَغَوْتُ إِلَى الرَّجُلِ ، وأَصْغَيْتُ » بمعنًى واحدٍ .

بل ذَكرَ صاحبُ (القاموسِ) بأنَّ الفعلَ (صَغِيَ) يأتي بمعنى : استَمعَ ؛ يقولُ : « صَغِيَ – كَرَضِيَ – صَغْيًا وصُغِيًّا : مالَ ، واستَمع » ، وقالَ في (أَصغى) : « وأَصغى : استمَع ، و : إليهِ : مالَ بسَمْعِه » ؛ فهُما عندَه بمعنًى .

وجاءَ الزَّبيديُّ بالفعلِ (صَغا) مع الأُذُنِ – صراحةً – ؛ يقولُ في (تاجِ العَروسِ 38/ 423) : « ومنهُ : صَغَتْ إليهِ أُذُنُه ؛ إذا مالَت » اهـ

ومِمَّا رَوَوا عَن أكثمَ بنِ صَيْفيٍّ أنَّه قالَ : « فتلَقَّوْها بأسماعٍ صاغِيةٍ ، وقلوبٍ واعيةٍ » ؛ حَكى ذلكَ أبو حيَّانَ التَّوحيديُّ في (البصائرِ والذَّخائرِ 1/ 154) ، وقالَ : « الَّذي رَويتُه وحَكيتُه عن أَكثمَ : رواهُ أبو بكرِ بنُ دُرَيْدٍ ، عن أبي حاتمٍ ، عن

الأصمعيِّ » اهـ

وقال أبو تمَّامٍ حَبيبُ بنُ أوسٍ الطَّائيُّ :

جَدِيلةَ والغَوثَ اللَّذَيـنِ إِلَيهِمـا صَغَتْ أُذُنٌ للمَجدِ لَيسَ بِها وَقْرُ

وقال أبو عُبادةَ البُحتريُّ :

أرَى كَذِبَ الأحْلامِ صِدْقًا وكَمْ صَغَتْ إلَى خَـبَرٍ أُذْنَـايَ غَـيْرِ صَـدُوقِ

وجاءَ في (كتابِ الصِّناعتَينِ 279) : « ومدحَ أعرابيٌّ قومًا ، فقالَ : أُولئكَ غُرَرٌ تُضيءُ من ظُلَمِ الأمورِ المُشكلةِ ، قد صَغَت آذانُ المجدِ إليهِم » اهـ

وبذلك : يتبيَّنُ صحَّةُ قولِهم : « آذانٌ صاغيةٌ » ، واللهُ تعالَى أعلمُ [1] .

---

(1) علَّقَ الأستاذُ فيصلٌ الـمنصورُ على المقالةِ ، فقـالَ : « وحقٌّ ما ذكرتِ ، فـ(صَـغا) ، و(صغِي) ، وحتَّى (أصغَى) كلُّهنَّ بمعنى الميلِ ، وليسَ الاستماعِ . ولذلك كانَ الأصلُ أن يُقالَ : « أصغَى إليه سمعَه » . فإذا قُلتَ : « أصغَى إليه » ، كانَ الـمعنَى : أمالَ إليه ، وحذفتَ المفعولَ لغَلبةِ الاستعمالِ على إمالةِ السَّمعِ ، كما غلَّبوا (المأبونَ) على الشَّرِّ ، و(الثَّناءَ) على الخيرِ ، معَ أنَّ الاشتقاقَ يُجيزُ أن يكونا في الخيرِ ، والشَّرِّ . ولذلك فإنَّ قولَهم : « أذنٌ صاغيةٌ » صحيحٌ . وذلك على معنَى مائلةٌ ، كمـا أنَّ « أصغَى إليه سمعَه » بمعنَى : أمالَ إليه سمعَه ، إلَّا أنَّ هذا مُتعدٍّ ، وذاك لازمٌ » اهـ (هيئة التَّحرير)

من حلقة الأدب والأخبار

دفائن

الحماسة

(3)

صالح العمري

دفائن

الحماسة

(3)

الحمدُ لله ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ الله ، وعلى آلِه وصَحبِه ، أمَّا بعدُ :

فهذه سِلسلةٌ سأجعلُ فيها إن شاءَ اللهُ فوائدَ ، واستِنباطاتٍ ، واستِدراكاتٍ ، ونحوَ ذلكَ مِن (حَماسةِ أبي تـمَّام) وشُروحِها ، وأسألُ اللهَ أن يُعينَني ، ويوفِّقَني ، ويَنفعَ به .

وقد اعتمدتُّ في أرقامِ المقطوعاتِ على روايةِ المرزوقيِّ بتَحقيق عبدِ السَّلامِ هارون ، وأَحمد أَمين ، لأنَّ رواياتِ (الحَماسةِ) في بَعضِها زيادةُ مقطوعاتٍ ، فيَختلفُ التَّرقيمُ في الرِّواياتِ .

❀ ❀ ❀

- 1 -

(ج)

المقطوعة رقم : 14

قالَ بعضُ بني قَيسِ بنِ ثَعلبةَ ، ويقالُ إنَّها لبَشامةَ بنِ حَزْنٍ النَّهْشَليِّ :

1 . إنَّا مُـحَيُّــوكِ يا سَلـمى فَحَيِّــينا
وإن سَقَـيتِ كِـرامَ النَّــاسِ فَاسقِـينا

2 . وإن دَعَـوتِ إلى جُلَّى ومَكـرُمَـةٍ
يَومًــا سَراةَ كِـرامِ النَّــاسِ فَادعِـينـا

3 . إنَّــا بَني نَـهشَـلٍ لا نَـدَّعي لِأَبٍ
عَنـهُ ولا هُــو بِالأَبنــــاءِ يَشرينـا

4 . إن تُبــتَدَر غايَــةٌ يومًا لِـمَـكرُمَةٍ
تَلقَ السَّوابِــقَ مِنَّـا والـمُصَـلِّــينـا

5 . وليس يَهلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا

إِلَّا افتَلَينا غُلامًا سَيِّدًا فِينا

6 . إِنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أَنفُسَنا

ولو نُسامُ بِها في الأَمنِ أُغلِينا

7 . (**بيضٌ مَفارِقُنا** تَغلي مَراجِلُنا

نَأسو بِأَموالِنا آثارَ أَيدينا)

8 . لو كانَ في الأَلفِ مِنَّا واحدٌ فَدَعَوا

مَن فارِسٌ خالَهُم إِيَّاهُ يَعنونا

9 . إِذا الكُماةُ تَنَحَّوا أَن يُصيبَهُمُ

حَدُّ الظُّباةِ وَصَلناها بِأَيدينا

10 . ولا تَراهُم وإِن جَلَّت مُصيبَتُهُم

مع البُكاةِ على مَن ماتَ يَبكونا

11 . ونركَبُ الكُـرهَ أَحيانًا فَيَفرُجُـهُ

عَنَّـا الحِـفــاظُ وأَسيـــافٌ تُواتـيـنـا

❀❀❀

وإن أبيتَ إلَّا أن تَعجلَ عليَّ ، فإنِّي أُطلعُك على ما تطمئنُّ به نفسُك ، وهو مَوضعٌ عجيبٌ ، يُشبه ما نحنُ فيه مِن أوجُهٍ كثيرةٍ ، ففيه دليلٌ على اضطرابِ ترتيبِ أبياتِ القصيدةِ الواحدةِ ، وفيه صفةُ المغارفِ في القُدورِ ، وفيه انتقالُ البيتِ الَّذي فيه صفةُ المغارفِ إلى موضعٍ يَقبُحُ فيه ذكرُه المغارفَ ، وذلكَ بعدَ وصفِ الحربِ والقتالِ ، وهذا مِن عجيبِ الاتِّفاقِ ، فهَلُمَّ نراهُ .

قالَ الأفوهُ الأوديُّ - وهي في (الطَّرائفِ الأدبيَّةِ) الَّتي اختارَها الإمامُ عبدُ القاهرِ الجُرجانيُّ ، وحقَّقها الشَّيخُ الميمنيُّ - :

1 . وإذا عَجاجُ الموتِ ثارَ وهَلْهَلَتْ — فيـه الـجِـيـادُ إلى الـجِـيـادِ تَـسَرَّعُ

2 . بالدَّارِعين كأنَّها عُصَبُ القَطا الْـ — أسرابِ تَـمعَجُ في العَجاجِ وتَـمزَعُ

3 . كُنَّـا فوارِسَـها الَّذيـن إذا دَعـا — داعي الصَّـــباحِ بـه إليـه نَفـــزَعُ

4 . كُنَّـا فوارِسَ نَجـــدةٍ لكـــنَّـها — رُتَـبٌ فبَعـضٌ فوقَ بعـضٍ تَشـفَعُ

5. ولكُلِّ ساعٍ سُنَّةٌ مِمَّن مَضى   تَنمي بـه في سَعيِـه أو تُبـدِعُ
6. وكأنَّما فيها الـمَذانبُ خِلفةً   وَذَمُ الـدِّلاءِ على قَليبٍ تُـنزَعُ
7. فينـا لثَعلبةَ بنِ عَوفٍ جَفنةٌ   يأوي إليها في الشِّتاءِ الـجُوَّعُ
8. ومَذانبٌ ما تُستعارُ وجَفنةٌ   سوداءُ عندَ نَشيجِها ما تُرفَعُ
9. مَن كان يَشتُو والأرامِلُ حولَه   يُروِي بـآنيَةِ الصَّريفِ ويُشبِعُ
10. في كُلِّ يومٍ أنتَ تفقِدُ منهُمُ   طَرَفًا وأيُّ مَخيلَةٍ لا تُقـلِعُ

هكذا جاءت في (الطَّرائفِ الأدبيَّةِ) بهذا التَّرتيبِ الَّذي تراه ، فانظُر كيفَ كانَ الشَّاعرُ يصفُ الحربَ والقتالَ ، ثُمَّ انظُر كيفَ جاءَ البيتُ السَّادِسُ بعدَها غريبًا مَقيتًا ؛ لأنَّ (المَذانِبَ) هي المغارفُ الَّتي يُغتَرَفُ بها من القُدورِ ، وقد شبَّهَها بدِلاءٍ تُنزَعُ من قَليبٍ ، فأيُّ معنًى لذِكرِ الـمغارفِ هنا ؟! وعلى أيِّ شيءٍ يعودُ الضَّميرُ مِن « فيها » ؟! فانظُر إليه كيفَ جاءَ مُنبتًّا مُنقطِعًا ممَّا قبلَه غيرَ مفهومٍ !

وهذا يُشبهُ كُلَّ الشَّبهِ ما وقعَ في بيتِ (الحماسةِ) لـمَّا جاءَت « سُودٌ مَغارِفُنا » بعدَ « إنَّا لنُرخِصُ يومَ الرَّوعِ أنفُسَنا » ، وإنَّما سببُ قُبحِها ونُشوزِها سُقوطُ بعضِ الأبياتِ قبلَها ، أو اختلافُ التَّرتيبِ . فعُدِ الآنَ إلى بيتِ الأفوهِ السَّادسِ ، ثُمَّ انقُله وصيِّرْهُ بينَ البيتَينِ الثَّامنِ والتَّاسعِ ، وانظُر كيفَ يتَّسِقُ الكلامُ ويَطَّرِدُ ، فإنَّه يصيرُ هكذا :

4. كُنَّا فوارِسَ نَجدةٍ لكنَّها رُتَبٌ فبَعضٌ فوقَ بعضٍ تَشفَعُ
5. ولكُلِّ ساعٍ سُنَّةٌ مِمَّن مَضى تَنمي بهِ في سَعيِهِ أو تُبدِعُ
7. فينا لثَعلبةَ بنِ عَوفٍ جَفنةٌ يأوي إليها في الشِّتاءِ الجُوَّعُ
8. ومَذانبٌ ما تُستعارُ وجَفنةٌ سوداءُ عندَ نَشيجِها ما تُرفَعُ
6. وكأنَّما فيها المَذانبُ خِلفةً وَذَمُ الدِّلاءِ على قَليبٍ تُنزَعُ
9. مَن كان يَشتُو والأرامِلُ حولَه يُروِي بآنيَةِ الصَّريفِ ويُشبِعُ

وإذا تأمَّلتَ هذا أدنى تأمُّلٍ عرفتَ أنَّه كانَ مُختلًّا وأنَّ صوابَه ما ذَكرنا ، فإنَّه بعدَ ما وصفَ القتالَ انتقلَ إلى وصفِ جُودِهم ، فقالَ : « فِينَا لِثعلبةَ بنِ عوفٍ جَفنةٌ » ، أي : عندَنا جَفنةٌ هي بقيَّةٌ من تُراثِ ثعلبةَ بنِ عوفٍ ، كما قالَ النَّابغةُ :

بقيَّةُ قِدرٍ مِن قُدورٍ تُوُرِّثَتْ لآلِ الجُلاحِ كابرًا بعدَ كابرِ

وكما قالَ الفَرزدقُ :

وَرِثتُم عن الجارودِ قِدرًا وجَفنَةً كثيرًا إذا احمَرَّ الشِّتاءُ عِيالُها

ثُمَّ قالَ الأَفوهُ : « ومَذانِبٌ » ، وهي المغارفُ ، وهو معطوفٌ على « جَفنةٌ » ، أي : وعندَنا مَغارِفُ من تُراثِه الأوَّلِ ، ثُمَّ قالَ : « وجَفنةٌ » ، وهذا أيضًا مَعطوفٌ علَيها ،

والمقصودُ في هذا الموضعِ يجبُ أن يكونَ (القِدرَ) جَزمًا لا ريبَ فيه ؛ لأمورٍ منها :

1. أنَّه ذَكَرَ الجفنةَ مِن قبلُ ، فلأيِّ شيءٍ يُعيدُ ذِكرَها ؟ وكيفَ يعطِفُها على نفسِها باللَّفظِ نفسِه ؟! وإنَّما يُريدُ هنا القِدرَ .
2. أنَّه قالَ : « سَوداءُ » فوَصفَها بالسَّوادِ ، وقد ذَكرنا مِن قبلُ أنَّهم يصفونَ القِدرَ بالسَّوادِ .
3. أنَّه قالَ : « عندَ نَشيجِها » ، والجَفنةُ لا تنشِجُ وإنَّما الَّذي ينشِجُ القِدرُ ، وأرادَ بنَشيجِها صوتَ القِدرِ إذا غَلَت وجاشَت ، وقد أكثرَت الشُّعراءُ من صفةِ أصواتِ القُدورِ .
4. أنَّه قالَ : « ما تُرفَعُ » ، أي : ما تُرفَعُ عن النَّارِ ، فجَعلَ القِدرَ كأنَّها تنشِجُ وتبكي إذا مسَّها حرُّ النَّارِ فلا يَأوُونَ لها ولا يَرحمونَها ، ولا يَرفعونَها عن النَّارِ حتَّى ينضَجَ ما فيها .
5. أنَّه في البيتِ الَّذي بعدَه شبَّهَ المغارِفَ الَّتي تُنزَعُ منها بِدلاءٍ تُنزَعُ من بئرٍ ، والمغارفُ لا تُنزَعُ من الجَفنةِ فيَسوغَ أن تُشبَّهَ بالدِّلاءِ الَّتي تُنزَعُ من البئرِ ، بل المغارفُ تُنزَعُ من القِدرِ ، وتُفرَغُ في الجفنةِ .

فالشَّاعرُ يريدُ في هذا الموضعِ القِدرَ يَقينًا قاطِعًا .

ولكِن قد يُقالُ : نعلمُ أنَّه يريدُ القِدرَ ، ولكِن لعلَّ القِدرَ تُسمَّى جَفنةً ، فهذا ما أرادَ .

وأنا قد بحثتُ في ما تيسَّرَ من كُتبِ اللُّغةِ فلَم أجِد أنَّ القِدرَ تُسمَّى جفنةً ، وإنِّي لأحسبُ أنَّ صوابَها : (جَونَةٌ) ، والجونةُ هي السَّوداءُ ، وأنت تَرى أنَّه وَصفَها بعدَ هذه اللَّفظةِ مباشرةً بأنَّها (سَوداءُ) ، وذَكرنا من قبلُ أنَّ القُدورَ تُوصَفُ بالسَّوادِ ، والقِدرُ تُوصَفُ في شعرِ العربِ بأنَّها (جَونَة) ، قالَ حميدُ بنُ ثورٍ في صفةِ طَللٍ :

فَتَغــــيَّرَت إلَّا مَـلاعبَـها ومُعَرَّسًا مِن (جَونَةٍ) ظَهرِ

أي : بقيَ من الطَّللِ مُعرَّسُ الجونةِ ، فالجونةُ هي القِدرُ ، ومُعرَّسُها هو الشَّيءُ الَّذي كانَت عليه وهو الأثافيُّ ، فيقولُ : بقيَ من الطَّللِ الأثافيُّ .

ولعلَّ الَّذي قرأَ شعرَ الأفوهِ غرَّته لفظةُ (جَفنَةٌ) في البيتِ الَّذي قبلَه ، فقرأَ هذه مِثلَها ، وصوابُها إن شاءَ الله : (جَونَةٌ) ، وهُما متشابِهتان جدًّا في الرَّسمِ .

فعَطفَ الأفوهُ على الـجفنةِ والمذانبِ وقالَ : وفينا (جَونةٌ سَوداءُ) من تُراثِ ثَعلبةَ . يُريدُ بها القِدرَ ، ثُمَّ وصفَ نَشيجَها ، وأنَّها لا تُرفَعُ عن النَّارِ ، ثُمَّ شبَّهَ المذانِبَ وهي تُنزَعُ من هذه القِدرِ بالدِّلاءِ تُنزَعُ من البئرِ .

فخُذ الآنَ هذا البيتَ - الَّذي فيه تَشبيهُ المغارِفِ وهي تُنزَعُ من القِدرِ بالدِّلاءِ وهي تُنزَعُ من البئرِ - ورُدَّه إلى موضعِه الَّذي وقعَ فيه في شعرِ الأفوهِ الأوديِّ بتَحقيقِ الميمنيِّ ، وانظُر إليه ، فإن كُنتَ بعدَ هذا البيانِ تشُكُّ في اضطرابِ التَّرتيبِ الَّذي وقعَ في شعرِ الأفوهِ في كتابِ (الطَّرائفِ الأدبيَّةِ) فإنِّي لا أستطيعُ أن أُقنعَك بشيءٍ ، وأسألُ اللهَ لي ولكَ التَّوفيقَ ، وإن كُنتَ تُصدِّقُ أنَّه قد اضطَربَ ، وأنَّ البيتَ الَّذي فيه صفةُ المغارفِ قد انتقلَ خطأً إلى موضعٍ أصبحَ فيه غريبًا كريهًا غامضًا ، فكذلكَ البيتُ الَّذي فيه « سُودٌ مَغارِفُنا » قد صارَ في رواياتِ (الحماسةِ) إلى موضعٍ أصبحَ فيه ذِكرُ المغارفِ هُجنةً وقُبحًا ، ولو رُدَّ إلى موضعِه لاستبانَ جمالُه .

وقد رأيتَ كيفَ استقامَ الكلامُ واستَتبَّ في شعرِ الأفوهِ لـمَّا ردَدنا البيتَ إلى حاقِّ موضعِه ، فهل أنتَ بعدَ هذا لائمِي في ما زعمتُه من أنَّ قولَه :

سُودٌ مغارفُنا نُـهبَى مَراجلُنا نَأْسُـو بِأَمْـوالِنا آثـارَ أيدِيـنا

يَنبغي أن يكونَ بعدَ قولِه :

الـمُطعِمونَ إذا هبَّتْ شَآمِيَةً وخَيرُ نـادٍ رآهُ النَّـاسُ نادِيـنا

وأنَّه يَنبغي أن يكونا هكذا ، لا كما جاءَ ترتيبُهمـا في (المُفضَّليَّاتِ) .

فنعودُ الآنَ إلى هذَين البيتَين لبَيانِهما :

المُطعِمونَ إذا هبَّتْ شآمِيَةً وخَيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادِينا
سُودٌ مَغارِفُنا نُهبَى مَراجِلُنا نَأْسُو بِأَمْوالِنا آثارَ أيدِينا

فاجمعِ الصُّورَ في أربعةِ الأشطارِ هذه وتأمَّلْها .

فأمَّا :

*** المُطعِمونَ إذا هبَّتْ شآميَةً ***

فالمرادُ به : الإطعامُ في وقتِ الشِّتاءِ ، إذا هبَّت الرِّيحُ شآميةً ، وهي ريحُ الشَّمالِ الباردةُ ، والشِّتاءُ هو وقتُ الجدبِ والشِّدَّةِ .

وبعضُ النَّاسِ لا يَفهمُ من هذا الإطعامِ إلَّا أنَّ الرَّجلَ يأتيهِ الضَّيفُ يَطرُقُه في بيتِه ، فيَبذلُ له القِرى في بيتِه ، وليسَ هذا المُرادَ هنا ، بل المُرادُ به المَيسِرُ ، وما أكثرَ ما تفتخرُ به العربُ في الجودِ والسَّماحةِ .

وأكثرُ ما يكونُ ذلك إذا ذَكروا الشِّتاءَ ، وذلك أنَّ الأجوادَ إذا أجدبَ النَّاسُ ، وعمَّ الجوعُ ، خرجوا إلى نادِيهم ، فضَربوا بالقِداحِ على جَزورٍ – وهي النَّاقةُ الَّتي تُجزَر ، أي : تُنحَرُ – ، ثُمَّ جَعلُوا لحمَها للفُقراءِ والضُّعفاءِ ، وستَفهمُ معنى هذا إن شاءَ اللهُ ،

ومعرفةُ طالبِ الأدبِ لهذا مُهمَّةٌ جدًّا ، فإنَّ كثيرًا مـمَّا يجيءُ في الشِّعرِ لا يكادُ يَفهمُ منه أحدٌ من أهلِ زمانِنا إلَّا الضِّيافةَ المألوفةَ ، وهي أن يَنزلَ ضيفٌ ببَيتِ الرَّجلِ ، فيَقرِيه مـمَّا حَضرَ ، أو يَذبحُ له من غَنمِه ، وكثيرٌ مـمَّا في شعرِ العربِ لا يُرادُ به هذا ، وإنَّما يُرادُ به المَيسِرُ الَّذي سنَصِفُه ، وسأختَصِرُه ، فافْهَمْه لتَفهمَ كثيرًا مـمَّا في شعرِ العربِ .

وأنا ناقلٌ من كلامِ الإمامِ ابنِ قُتَيبةَ في كتابِ (المَيسِرِ والقِداحِ) بعضَ ما يتَّضحُ به ذلك ، قالَ رحمهُ اللهُ في قولِ الله تعالَى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ... ﴾ [البقرة 219] : « وأمَّا نفعُ المَيسِرِ : فإنَّ العربَ كانوا في الشِّتاءِ عندَ شِدَّةِ البَردِ ، وجَدبِ الزَّمانِ ، وتعذُّرِ الأقواتِ على أهلِ الضُّرِّ والمَسكنةِ يَتقامَرونَ بالقِداحِ على الإبلِ ، ثُمَّ يَجعلونَ لُحومَها لذَوي الحاجةِ منهم والفُقراءِ ، فإذا فَعلوا ذلك اعتَدلَت أحوالُ النَّاسِ وأَخصَبوا ، وعاشُوا واستَراشُوا ، قالَ الأعشَى يَمدحُ قومًا :

المُطعِمُو الضَّيفِ إذا ما شَتَوا   والجاعِلُو القُوتِ علَى الياسِرِ

أي : يَجعلونَ أقواتَ الفُقراءِ منهُم على الياسِرين بالقِداحِ ، وهُم أهلُ الثَّروةِ وذَوُو الجِدَةِ والأَجوادُ ، وكانوا يَمدحونَ بأخذِ القِداحِ ، ويَسبُّونَ بتركِها ، ويُسمُّونَ المُوسِرَ الَّذي لا يَدخلُ معَهم في المَيسِرِ ، ولا يَتحمَّلُ الغُرمَ لصَلاحِ أحوالِ النَّاسِ : البَرَمَ ، قالَ

مُتمِّمُ بنُ نُوَيرةَ يَرثي أخاهُ مالِكًا :

ولا بَرَمًا تُـهدِي النِّـساءُ لعِرْسِهِ إذا القَشْعُ مِن بَرْدِ الشِّتاءِ تَقَعْقَعَا

وجَمعُه أَبرامٌ ، وإذا كانَ الرَّجُلُ بَرَمًا - لا يَدخُلُ معَهم في القِداحِ - لم يَدخُلِ اللَّحمُ بيتَه إلَّا بأن يُهدِيَه نساءُ الحيِّ إلى امرأتِه » اهـ

قلتُ : وانظُر إلى الشَّبَهِ بينَ قولِ الأعشَى :

* المُطْعِمُو الضَّيفِ إذا ما شَتَوا *

وهو في المَيسرِ كما ذَكر ابنُ قُتيبةَ ، وكما دلَّ علَيه عَجُزُه ، وبينَ قولِ المُرقَّشِ الأكبرِ :

* المُطعِمُونَ إذا هَبَّت شآميَةً *

فإنَّ هذا يُشعِرُك أنَّ بيتَ المُرقَّشِ أيضًا في صفةِ المَيسرِ ، فهذا أَوَّلُ شيءٍ يُطالِعُك وتَستأنِسُ به ، وإلَّا فجميعُ ما في بَيتَي المُرقَّشِ يُؤكِّدُ أنَّه يصفُ المَيسِرَ ، وكما يَتشابَه شعرُ العربِ في المعاني يَتشابَه كثيرًا في الألفاظِ والتَّراكيبِ ، كما تَشابَه هذانِ الشَّطرانِ للأعشَى والمُرقَّشِ الأكبرِ ، والرُّجلانِ كِلاهُما من بَني بكرِ بنِ وائلٍ .

ونَدعُ هذا فنقولُ : القِداحُ - لتَفهمَ كلامَه - هي أعوادُ النَّبلِ أو صغارُ النَّبلِ ليسَ

علَيها نِصالٌ ولا ريشٌ ، وهي عشرةُ قِداحٍ ، سبعةٌ منها لها حُظوظٌ ، وستَفهَمُ معنى الحُظوظِ ، وثلاثةٌ لا حُظوظَ لها .

فأمَّا السَّبعةُ ذواتُ الحُظوظِ فيأخذُها سبعةٌ من القومِ ، يأخذُ كُلُّ واحدٍ منهُم واحدًا منها ، أو يأخذُ الواحدُ منهم اثنَين أو ثلاثةً ، والمقصودُ أنَّها تُقسَّمُ كُلُّها ، ويَضعونَها في خريطةٍ واسعةٍ لها فمٌ ضيِّقٌ ، ويَضعونَ الثَّلاثةَ الَّتي لا حُظوظَ لها معَها ، وستَفهمُ سببَ ذلك أيضًا ، ثُمَّ يُجلجِلُونَ بالخريطةِ ويَدفعونَها ، فيخرجُ من فمِها واحدٌ من القداحِ ، فمَن خرجَ قِدحُه فازَ وغنمَ ، ومعنى فوزِه وغُنمِه أنَّه يأخذُ حظًّا من النَّاقةِ الَّتي جَزَرُوها ، أو حظَّينِ ، أو ثلاثةً ، أو غيرَ ذلك ، بحَسبِ حظِّ قِدحِه ، ولا يَدفعُ ثَمنَ هذا الَّذي يأخذُه من النَّاقةِ ، بل يغرمُه الخاسرُ من أصحابِه ، وهذا الفائزُ لا يأخذُ اللَّحمَ ليأكُلَه ، وإنَّما يَطبخُه للضُّعفاءِ والمساكينِ ، فلذلك تَفخرُ العربُ كثيرًا بالمَيسرِ ؛ لما فيه من إطعامِ الضَّعَفةِ والـهُلَّاكِ ، فهذا اختصارُه الشَّديدُ ، وسأزيدُه إيضاحًا بغَيرِ تطويلٍ .

فدُونَك مُختصرًا من كلامِ ابنِ قُتيبةَ ، لا أنقلُه بنَصِّه وإنَّما بمَعناه ، وأكثرُه من لَفظِه ، قالَ في ذِكرِ القداحِ الَّتي لها حُظوظٌ ، وهي سبعةٌ : للفَذِّ نَصيبٌ ، وللتَّوأمِ نصيبانِ ، وللرَّقيبِ ثلاثةُ أنصِباء ، وللحلسِ أربعةُ أنصِباء ، وللنَّافسِ خمسةُ أنصِباء ،

وللمُسبلِ ستَّةُ أنصِباء ، وللمُعلَّى سبعةُ أنصِباء .

وعلى كُلِّ قِدحٍ منها علامةٌ تدلُّ علَيه وعلى حظِّه ، فعلى الفذِّ فرضٌ ، أي : حَزٌّ وقطعٌ يكونُ علامةً له ، وعلى التَّوأمِ فَرضانِ ، وعلى الرَّقيبِ ثلاثةُ فروضٍ ، وهكذا .

وكانوا يأخذونَ هذه السَّبعةَ على قَدرِ أحوالِـهم ، فآخِذُ الفذِّ منها لا يَكثُرُ غُرمُه ولا غُنمُه ، لأنَّه إن فازَ أخذَ حظًّا واحدًا من أجزاءِ الجَزُورِ – وهي النَّاقة الَّتي تُجزَرُ – وإن خابَ غرمَ حظًّا واحدًا . ثُمَّ يتلوهُ صاحبُ التَّوأمِ إن فازَ أخذَ حظَّين وإن خابَ غرمَ حظَّين ، وهكذا .

وأمَّا الثَّلاثةُ الَّتي لا حُظوظَ لها فلَيسَ عليها علاماتٌ ، ولذلكَ تُسمَّى الأغفالَ ، والغُفلُ من الدَّوابِّ هو الَّذي لا سِمةَ له .

وإنَّما تُجعَلُ هذه الثَّلاثةُ مع تلكَ السَّبعةِ ليَكثُرَ بها العددُ ، وتُؤمَنَ بها حيلةُ الضَّاربِ الَّذي يُجلجِلُ الخريطةَ ، وستَعرفُ خبرَه بعدَ قليلٍ .

فكانوا إذا أرادوا أن ييسروا اشتَروا ناقةً بثَمنٍ مسمًّى يضمنونَه لصاحبِها ، ولم يدفعوا ثَمنَها حتَّى يضربوا بالقداحِ عليها ، فيعلَموا على من يجبُ الثَّمنُ ، ثُمَّ ينحَرونَ النَّاقةَ قبلَ أن ييسرُوا ، فيقسمونَها عشرةَ أقسامٍ ، ثُمَّ ييسرونَ ، أي : يفيضونَ بالقِداحِ .

فإذا أرادوا أن يفيضوا بالقداحِ أحضَروها ، وأحضروا رجُلًا يَضربُ بها بينَهم ، وهو الضَّاربُ الَّذي ذَكرنا قبلَ قليلٍ ، فإذا أحضروه شدُّوا عينَيه ؛ لئلَّا يرى القداحَ ، ثُمَّ عصَبوا على يدَيه بثوبٍ ؛ لئلَّا يَفهمَ علاماتِ القداحِ إن كانَ له هوًى في فوزِ بعضِهم ، لأنَّ القداحَ عليها حُزوزٌ كما ذَكرنا ، فيستطيعُ بجسِّ يدِه - ولو لم يرَها - أن يعرفَ القِدحَ الَّذي فيه حَزٌّ واحدٌ وهو الفَذُّ ، والَّذي فيه حزَّان وهو التَّوأمُ ، وهكذا ، فأرادوا أن يأمَنوا من ذلك .

ثُمَّ يُعطونَه خريطةً واسعةً ذاتَ فمٍ ضيِّقٍ لا يخرجُ منه إلَّا قِدحٌ واحدٌ ، وهذه الخريطةُ يُسمُّونَها الرَّبابةَ ، وتكونُ القداحُ كُلُّها - العشرةُ - في هذه الرَّبابةِ ، ثُمَّ يُقعِدونَ خلفَ ظهرِ الضَّاربِ رقيبًا ، يتأمَّلُ حركةَ يدَيه وصنيعَه ؛ لئلَّا يكونَ منه خيانةٌ واحتيالٌ ، ثُمَّ يقولونَ للضَّاربِ : جَلْجِلْ . فيُجلجِلُ بالقداحِ في تلكَ الخريطةِ ، مرَّتَين أو ثلاثًا ، أي : يُحرِّكُها حتَّى تختلطَ القداحُ ، لئلَّا يَعرِفَ أماكنَها في الخريطةِ ، فيتوصلَّ بذلك إلى خيانةٍ ، ثُمَّ يَدفعُ بالرَّبابةِ دفعةً قويَّةً ، فيَخرجُ من فَمِها الضَّيِّقِ قِدحٌ واحدٌ ، فيقومُ الرَّقيبُ إليه يأخذُه وينظرُ إليه .

فإن كانَ من الثَّلاثةِ الأغفالِ الَّتي لا حظوظَ لها ردَّه إلى الرَّبابةِ ، ويكونُ ذلك لغوًا لا غُرمَ فيه على أحدٍ ولا غُنمَ ، ثُمَّ يقولونَ للضَّاربِ : أعدِ الجَلجَلةَ والإفاضةَ .

وإن كانَ من السَّبعةِ ذواتِ الحظوظِ دَفعَه إلى صاحبِه ، وقالَ له : قُم فاعتزِل . فيأخذُ قِدحَه ، ويثبتُ له حظُّه من الجَزورِ ، ويعتزِلُ ، ويكونُ صاحبُ هذا القِدحِ قد غَنِمَ على قدرِ حظِّ قِدحِه .

فإذا اعتزلَ صاحبُ القِدحِ ، قالَ الرَّقيبُ للضَّاربِ : أعدِ الجَلجلةَ والإفاضةَ . فيُعيدُها ، وهكذا حتَّى تُؤخَذَ أجزاءُ الجَزورِ العشرةُ .

فإن كانَ الَّذي خرجَ في المرَّةِ الأُولى مثلًا هو الفَذُّ - وله حظٌّ واحدٌ - أخذَه صاحبُه ، وصارَ له جُزءٌ من أجزاءِ الجَزورِ ، وسلِمَ من الغُرمِ ، واعتزلَ القومَ ، وبقيَ تسعةُ أجزاءٍ من الجَزورِ .

ثُمَّ يُعيدونَ الجَلجلةَ والإفاضةَ ، فإن خرجَ التَّوأمُ مثلًا - وله حظَّان - أخذَه صاحبُه ، وصارَ له جُزءان من الجَزورِ ، وسلِمَ من الغُرمِ ، واعتزلَ القومَ ، وبقيَ سبعةُ أجزاءٍ من الجَزورِ .

ثُمَّ يُعيدونَ الجَلجلةَ والإفاضةَ ، فإن خرجَ الرَّقيبُ مثلًا - وله ثلاثةُ حظوظٍ - أخذَه صاحبُه ، وصارَ له ثلاثةُ أجزاءٍ من الجَزورِ ، وسلِمَ من الغُرمِ ، واعتزلَ القومَ ، وبقيَ أربعةُ أجزاءٍ ، ثُمَّ يُعيدونَ الإفاضةَ ، حتَّى تنتهيَ أجزاءُ الجَزورِ .

فإن كانَ الَّذي خرجَ في المرَّةِ الأُولى الحلـسُ مثلًا – وله أربعةُ حظوظٍ – ثُمَّ خرجَ في المرَّةِ الثَّانيةِ المسبلُ – وله ستَّةُ حظوظٍ – فقد ذهبت أجزاءُ الجَزورِ العشرةُ ، فيَقطعونَ الإفاضةَ ويَنتهي المَيسِرُ ، ويغرمُ ثمنَ النَّاقةَ أصحابُـهم الخمسةُ ، وهم صاحبُ الفذِّ ، وصاحبُ التَّوأمِ ، وصاحبُ الرَّقيبِ ، وصاحبُ النَّافسِ ، وصاحبُ المُعلَّى .

فأمَّا هذان الفائزان فإنَّهما لا يأخُذان هذا اللَّحمَ ليأكُلاه ، ولو كانَ كذلك لكانَ قِمارًا مَحضًا لا خيرَ فيه ولا نفعَ ، وليسَ المَيسِرُ كذلك ، بل المَيسِرُ فيه منافعُ كما في الآيةِ الكريمةِ ، وذلك أنَّ هذَين الفائزَين يُطعِمان الفُقراءَ والمساكينَ والضِّيـفانِ لحمَ هذه النَّاقةِ ، فهذه هي منافعُ المَيسِرِ .

وأمَّا الخمسةُ الغارمونَ فيَقسمونَ ثَمنَ النَّاقةِ على (18) ويحتملُ كُلُّ واحدٍ منهم بقَدرِ حظِّ قِدحِه ، وذلكَ أنَّ الحظوظَ كُلَّها (28) ، لأنَّ :

(1 + 2 + 3 + 4 + 5 + 6 + 7 = 28)

فإذا كانَ الحلسُ – وله أربعةُ حظوظٍ – والمسبلُ – وله ستَّةُ حظوظٍ – قد خَرجا من الحسابِ بعشرةِ الحظوظِ الَّتي معَهما ، فإنَّه يبقى مع الآخرينَ (18) ، لأنَّ :

(1 + 2 + 3 + 5 + 7 = 18)

وهي عددُ الحظوظِ الَّتي مع الخمسةِ الغارمِين ، فيَقسمونَ ثَمنَ النَّاقةَ على (18) ، فلو كانَ ثَمنُها مثلًا (1800) درهمٍ ، فإنَّهم يَقسمونَه على (18) ، ويكونُ كُلُّ جُزءٍ منها (100) درهمٍ ، فيَغرمُ كُلُّ امرئٍ منهم بقدرِ قِدحِه ، فأمَّا الفذُّ الَّذي في قِدحِه علامةٌ واحدةٌ فيَغرمُ جُزءًا واحدًا ، وهو (100) درهمٍ ، وأمَّا التَّوأمُ الَّذي له حظَّانِ فيَغرمُ جُزئَين ، وذلك (200) درهمٍ ، وهكذا ، ويَغرمُ صاحبُ المُعلَّى الَّذي له سبعةُ حظوظٍ سبعةَ أجزاءٍ ، وذلك (700) درهمٍ ، ويكونُ مجموعُها هكذا :

(100 + 200 + 300 + 500 + 700 = 1800 درهم)

وإن خرجَ في المرَّةِ الأُولى النَّافسُ مثلًا – وله خمسةُ حظوظٍ – ، ثُمَّ خرجَ المُعلَّى – وله سبعةُ حظوظٍ – ، صارَ ذلك اثنَي عشرَ حظًّا ، والجَزورُ عشرةُ أجزاءٍ فقط ، فيأخذُ صاحبُ المُعلَّى سبعةَ أجزاءٍ ، وهذا هو الَّذي يُرادُ بقولِ النَّاسِ : فُلانٌ له القِدحُ المُعَلَّى ، لأنَّه أكثرُ القداحِ حظًّا ، ويأخذُ صاحبُ النَّافسِ ثلاثةَ أجزاءٍ ، ويَبقى له جُزآنِ لم يُحصِّلهُما ، فيَغرمُ الخاسرونَ ثَمنَ جُزئَين من أجزاءِ النَّاقةِ ، يُؤدُّونَه إلى صاحبِ النَّافسِ ، إضافةً إلى ما يَغرمونَه من ثَمنِ النَّاقةِ الأُولى الَّتي ضربوا بالقداحِ عليها .

فهذا هو حاصلُ المَيسرِ الَّذي تفتخرُ به العربُ في أشعارِها ، وإنَّما شرحْناه لعِظَمِ فائدتِه في فهمِ شعرِ العربِ عامَّةً ، ولأنَّ البيتَ الَّذي فيه « سُودٌ مَغارِفُنا » أرادَ

به صاحبُه المَيسِرَ [1] .

---

(1) وما دُمتَ قد عرفتَ صفةَ المَيسرِ ، فسأُطلِعُك على موضعٍ تتابَعَ بعضُ العُلماءِ بالخطإِ فيه ، قالَ التَّبريزيُّ في (شرحِ المُعلَّقات) عندَ قولِ امرئِ القَيسِ :

وما ذَرفَت عَيـناكِ إلَّا لِتَـضرِبي بسَهمَيكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقتَّلِ

قالَ : « وقيلَ : معناهُ : أنَّ هذا مثلٌ لأعشارِ الجَزورِ ، وهي تُقسَمُ على عشرةِ أنصِباء ، ثُمَّ يُجالُ علَيها بالسِّهامِ ، الَّتي هي : الفَذُّ ، والتَّوأمُ ، والرَّقيبُ ، والحلسُ ، والنَّافسُ ، والمسبلُ ، والمُعلَّى ، فالفَذُّ له نصيبٌ إذا فازَ ، والتَّوأمُ له نصيبانِ ، والرَّقيبُ له ثلاثةُ أنصِباء ، والحلسُ له أربعةٌ ، والنَّافسُ له خمسةٌ ، والمسبلُ له ستَّـةٌ ، والمُعلَّى له سبعةٌ ، فقولُه : « بسَهمَيكِ » يُريدُ : المُعلَّى وله سبعةُ أنصِباء ، والرَّقيبَ وله ثلاثةُ أنصِباء ، فأرادَ : أنَّكِ ذهبتِ بقَلبي أجمَع ... وأجودُ هذه الوجوهِ : أن يكونَ أرادَ بالسَّهمَين المُعلَّى والرَّقيبَ ، لأنَّه جعلَ بُكاءَها سببًا لغلبَتِها على قلبِه ، فكأنَّها حينَ بكَت فازَ سَهماها ، شبَّهها باليَسَرِ – وهو المُقامِرُ – إذا استولَى (بعد حين) على أعشارِ الجزورِ ، وذلك أنَّه لا يُستولَى على الجَزورِ كُلِّها بأقلَّ من سهمَين » اهـ قلتُ : هذا الَّذي لوَّنتُه بالأحمرِ قد جاءَ هكذا في نشرةِ المنيريَّةِ ، وفي نشرةِ العلَّامةِ محيي الدِّين عبدِ الحميدِ ، وفي نشرةِ العلَّامةِ محمَّدِ الخضر حُسين ، وفي نشرةِ العلَّامةِ فخرِ الدِّين قباوَة ، وهو خطأٌ محضٌ ، ولا وجهَ له البتَّةَ ، والصَّوابُ : (بقِدحَينِ) ، أي : بسَهمَين ، وانظرْ إلى ما وضعتُ تحتَه خُطوطًا من ذِكرِ السَّهمَين في الكلامِ الَّذي قبلَها ، والَّذي بعدَها ، يُريدُ بذلك التَّبريزيُّ قولَ امرئِ القيسِ : « لِتَضرِبي بسَهمَيكِ في أعشارِ » ، فالقِدحانِ أو السَّهمان هما الرَّقيبُ والمُعلَّى ، ولعلَّ مَنشأ الوهمِ مِن كونِ التَّبريزيِّ سمَّاها في المواضعِ كُلِّها سهامًا – لأنَّه يُفسِّرُ قولَ امرئِ القيسِ : « بسَهمَيكِ » – ، إلَّا في هذا الموضعِ فقد سمَّـاها قِداحًا ، فخفِيَ هذا الموضعُ لأجلِ ذلك ، ولا فرقَ بينَ تسميتِها سِهامًا وتسميتِها قِداحًا ، وقد ذكرنا في =

فإذا انتهى مَيسِرُهم ، وحُصِّلت أجزاءُ الجَزورِ ، أَوقدوا نِيرانَهم ، ونَصبوا قُدورَهم ، واجتمعَ عليهم الـهُلَّاكُ والضَّعفةُ وذَوُو الضُّرِّ ، والأراملُ والأيتامُ ، والأضيافُ والجيرانُ ، وغيرُهم ، فيَبيتونَ يطبخونَ ويَقرونَ حتَّى يَخصبَ النَّاسُ ، وقد ذَكرَ ابنُ قُتيبةَ أنَّ المَيسِرَ أكثرَ ما يكونُ في اللَّيلِ .

فإذا فهمتَ هذا من قولِه : « المُطعِمونَ إذا هبَّت شـآميَةً » فافهَم ما في قولِه :

*** وخيرُ نادٍ رآهُ النَّاسُ نادِينا ***

وذلك أنَّهم قد اجتمعوا في نادِيهم ، وبَرزُوا للمُعتفينَ ، ورحَّبوا بهم ، وأدنَوهم إليهم ، ونَحروا جَزورَهم ، ونَصبوا قُدورَهم ، وأَوقدوا عليها ، وقَعدوا للنَّاسِ يُلاطفونَهم ويُمازِحونَهم ، حتَّى نَضجَ ما في قُدورِهم ، ثُمَّ قاموا إليها يغرِفونَ ما فيها بمَغارِفِهم ، ويُوزِّعونَه على المحتاجينَ منهم ومساكينِهم ، فيَتناهَبونَه ويتقسَّمونَه . فتخيَّل الآنَ مقامَهم عندَ قُدورِهم بمغارِفِهم ، يَغرِفونَ وقد أحاطَ بهم الأراملُ والأيتامُ والضُّعفاءُ من كُلِّ ناحيةٍ ، وهم يَغرِفونَ بمغارِفِهم الَّتي اسودَّت من طُولِ الغَرفِ بها على الأيَّامِ ، ويُلقونَه ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ للمُتناهِبين .

= حديثِنا في شرحِ صفةِ المَيسرِ أنَّ القِداحَ هي أعوادُ النَّبلِ ، أي : أعوادُ السِّهامِ . واللهُ تعالَى أعلَمُ .

فإذا تصوَّرتَ ما في هذَين الشَّطرَين فانظُر إلى حُسنِ موقعِ :

* سُودٌ مَغارِفُنا نُـهبَى مَراجِلُنا *

بعدَهما ، وانظُر إلى موقعِ « شُعْثٌ مَقادِمُنا » ، و« بِيضٌ مَعارِفُنا » ، و« بِيضٌ مَفارِقُنا » !

وإذا كانت مَراجِلُهم نُـهبَى ، وكانَ المساكينُ يَتناهَبون ما فيها ، فكيفَ تظنُّهم يتَناهَبونَه ؟ أتُراهم يُدخِلونَ أيدِيَهم في القُدورِ الحارَّةِ ويأكلونَ منها ، أم يكونُ ذلك بالمغارِفِ ؟ وإذا كانَ ذلك بالمغارفِ أترَى أنَّ هذا الجوادَ صاحبَ المَيسرِ يُعطِيهم المغارفَ ، ويقولُ : اغرِفوا بها ؟ أم يكونُ هو الَّذي يغرِفُ لهم ، ويَخدمُهم ، ويقسمُه بينَهم ؟ لا شكَّ أنَّه يغرِفُ لهم بنَفسِه هذا الطَّعامَ الَّذي يَتناهَبونَه .

فإذا كانَ كذلك فإنَّك لن تجدَ مع قولِه : « نُهبَى مَراجِلُنا » شيئًا أحسنَ ولا أَوفقَ ولا أَليقَ من « سُودٌ مَغارِفُنا » ، والمغارفُ أحقُّ شيءٍ بالذِّكرِ في هذا الموضعِ مع تناهُبِ ما في المراجلِ ، لأنَّ تَناهُبَ المَراجلِ المذكورَ لا يكونُ إلَّا مـمَّا تُخرجُه هذه المغارِفُ ، فهؤلاءِ يغرِفونَ بمغارِفِهم السُّودِ وهؤلاءِ يتناهَبونَ ، وأمَّا (المفارِقُ) ، و(المعارِفُ) ، و(المقادِمُ) فأرى ذِكرَها هنا مَقتًا لا خيرَ فيه .

فإذا أبصرتَ ما في ثلاثةِ الأشطارِ الَّتي فسَّرناها فإنَّ الشَّطرَ الرَّابعَ ، وهو قولُه :

* نَأسُو بأَموالِـنا آثـــارَ أيدِينا *

مُتمِّمٌ لها وجُزءٌ منها ، وليسَ كما فسَّرَه به مَن شرحُوا (الحماسةَ) ، فإنِّي رأيتُ الشُّروحَ الَّتي وقفتُ عليها مُجمِعةً على أنَّ معنى (نَأسُو) هنا : نُصلِحُ ونُداوِي ، وأنَّ معنى البيتِ كُلِّه : أنَّا إذا أصَبنا في قومٍ دمًا لم يَطمَعوا في القَودِ والاقتصاصِ منَّا ؛ لعِزَّتِنا ومَنعَتِنا ، بل نُعطيهِمُ الدِّيةَ في ذلك من أموالِنا .

وهذا معنًى جيِّدٌ في ذاتِه ، ولكنَّه لا يَصلحُ في هذا الموضعِ الَّذي هو في صفةِ المَيسِرِ ، وليسَ لذِكرِ الدِّياتِ هنا مَدخلٌ ولا مُسوِّغٌ .

وعندي تفسيرانِ لهذا يُناسبانِ موضعَ هذا الشَّطرِ ، وما وَصفناهُ من أمرِ المَيسِرِ :

فأمَّا الأوَّلُ :

فمبنيٌّ على أنَّ (نَأسُو) هنا معناهُ : نُصلحُ ونُداوي ، ويكونُ المقصودُ بالأموالِ أثمانَ الجَزورِ الَّتي غرمُوها في المَيسِرِ ، والمقصودُ أنَّهم يُصلحونَ بما يَبذلُونَه في المَيسرِ ما كانَ قبلَه من آثارِ أيدِيهم في مَن يكونُ بينَهم وبينَه شرٌّ وخلافٌ ، وقد يكونُ الشَّرُّ بينهم وبينَ بعضِ أبناءِ حيِّهم ، وما أكثرَ ذلك في أحياءِ العربِ ! وقد يكونُ بينَهم وبينَ غيرِهم من الأحياءِ المجاورةِ لهم ، فرُبَّما جاءَ إلى الجَزورِ في هذا الجدبِ والشِّدَّةِ صبيانُ

خصمِهم وأيتامُهم ونسوتُهم وضعفتُهم ، فيُعطونَهم ويُحسِنونَ إليهم ، ويَمحونَ بذلك ما كانَ من آثارِ أيدِيهم ، إن كانوا أصابوا دمًا في خَصمِهم ، أو نالوهُ بجراحةٍ ، أو نحوِ ذلك .

وهذا أضعفُ التَّفسيرَين ، على أنَّه أجودُ في هذا الموضعِ ممَّا قالَه شارِحو (الحماسةِ) .

وقد يُقالُ هنا : إذا كانَ الأمرُ على ما وصفتَ من شأنِ المَيسرِ ، فيَنبغي أن يكونَ الشَّاعرُ إمَّا غانِمًا وإمَّا غارِمًا ، فإن كانَ غانمًا وأصابَ ما أصابَ من لحمِ الجَزورِ وطبـخَه للنَّاس ، فإنه حينئذٍ لم يدفَع مالًا ؛ لأنَّ الغرمَ صارَ على غيرِه ، فكيفَ يقولُ : « نَأسُو بأموالِنا » وهو لم يدفَع شيئًا من ثَمنِها ؟ وإن كانَ غرمَ فقد دفعَ المالَ ، ولم يحصُل له شيءٌ من الجَزورِ ، فكيفَ يفتخرُ بأنَّه باتَ يطبخُ ، ويغرِفُ من مرجلِه للمُعتفِين ؟ فليسَ يجتمعُ للرَّجُلِ – على ما جاءَ في صفةِ المَيسرِ – الأمرانِ : أن يأخُذَ حظًّا من الجَزورِ ، وأن يدفعَ مالًا فيها ، فكيفَ يقولُ : « سُودٌ مَغارِفُنا نُهبَى مَراجِلُنا » ثُمَّ يقولُ : « نَأسُو بأموالِنا آثارَ أيدِينا » ؟

وهذا اعتراضٌ جيِّدٌ ، وجوابُه : أنَّ الشَّاعرَ لم يتكلَّم عن نفسِه ، ولم يقُل : أنا أطبخُ للضِّيفانِ ، وأدفعُ ثَمنَ الجَزورِ ، وإنَّما يتكلَّمُ عن فعلِه ، وفعلِ من معَه ، ويفتخرُ بفعلِهم كُلِّهم ، وهؤلاءِ الَّذين معَه ليسوا أعداءَ أو غُرباءَ ، بل هم من أصدقائِه ، ومن

ذَويهِ ، ومن خاصَّتِه ، ومن أقربائِه ، وجميعُهم في الغالبِ من قومِه ، وقد مشى هو إليهم ، ومشى بعضُهم إلى بعضٍ ، وتَشاوَروا واتَّفقوا على أمرِ المَيسرِ ؛ ليَنعَشوا به الهلاكَ ، فهو يفتخرُ بفعلِهم كُلِّهم ، لا بفعلِه وحدَه ، بل قد ييسرُ مَن ييسرُ منهمْ في بعضِ الأوقاتِ ولا يكونُ هو معَهم ، فالرَّجلُ يفخَرُ بقومِه لا بنفسِه ، ألا تَراهُ يقولُ : « المُطعِمونَ إذا ... » ولم يقُل : « أنا المُطعِمُ » .

فإذا كانَ الأمرُ كذلك ، فإنَّ هؤلاء الَّذين مشَوا في أمرِ المَيسرِ - سواءٌ أكانوا سبعةً أم أقلَّ من ذلك - قد اجتمعَ في مجموعِهم الأمرانِ جميعًا ، أعني : طبخَ اللَّحمِ في القُدورِ ، ودفعَ ثَمنِ الجَزورِ ، لأنَّ بعضَهم أخذَ اللُّحمانَ وطبخَ وأطعمَ ، وبعضَهم غرمَ ثَمنَها ، وهو يَفخرُ بهم كُلِّهم ، وكُلُّهم أرادوا خيرًا وأصابُوه ، سواءٌ ظَفِرَت قداحُهم أو خابَت .

وتسميةُ خيبةِ قداحِهم وحَملِهم ثَمنَ الجَزورِ غُرمًا تجوُّزٌ في الكلامِ ، ولو كانوا هم يعدُّونَه غُرمًا ويخافونَ منه ما دَخلوا في المَيسرِ أصلًا ، وليسوا مُجبَرِين عليه ، بل لا يعدُّون أنفسَهم خاسِرين ، وإنَّما يَفخرونَ بفعلِهم هذا ، وأنَّهم حملوا ثَمنَ الجَزورِ الَّتي أُنعِشَ بها الضَّعفةُ والمساكينُ ، فهو يَفخرُ بهؤلاءِ كُلِّهم لِـما انتَدبوا إليه من هذا الأمرِ ، فمنهُم مَن صارَت له اللُّحمانُ وجَشم عناء الطَّبخِ ، ومِنهم مَن حَملَ الثَّمنَ .

وهذا قلتُه تَنزُّلًا على اعتبارِ أنَّ الغارِمين لا يكونونَ مع الفائزينِ في الطَّبخِ وتقسيمِ الطَّعامِ ، وإلَّا فإنَّ الغارِمين الَّذين يَحملونَ ثَمنَ الجَزورِ يكونونَ معَ إخوانِهم في طَبخِهم وعندَ قُدورِهم ، يُعينونَهم ويَطبخونَ معَهم ، ويغرِفونَ للمُعتفِين ، فهم جماعةٌ أمرُهم واحدٌ ، ومَقصدُهم واحدٌ ، وهو إطعامُ الفُقراءِ والمساكينِ ، فهم شُركاءُ في طَبخِهم ، وفي إطعامِ ضيوفِهم ، وفي أمرِهم كُلِّه .

وإنَّما المَيسرُ شيءٌ يُشبهُ القُرعةَ ، فكأنَّهم قومٌ اتَّفقوا على إطعامِ النَّاسِ ، وقالوا نَجعلُ قُرعةً ، مَن تكونُ عليه يحملُ ثَمنَ الجَزورِ ، فأمرُهم واحدٌ ، وقَصدُهم واحدٌ ، وضيفُهم واحدٌ ، وكُلُّهم يرى نفسَه قد أطعمَ وقَرى ، حمَلَ شيئًا من ثَمنِ الجَزورِ أو لم يَحمِل .

ثُمَّ إنَّ الَّذي يغرمُ اليومَ قد يغنمُ غدًا ، ثُمَّ يغرمُ ، ثُمَّ يغنمُ ، فمرَّةً تكونُ من نصيبِه اللُّحمانُ ، ومرَّةً يحملُ الأثمانَ .

والشَّاعرُ يصفُ دأبَهم وديدَنَهم هذا على السِّنين ، في كُلِّ مرَّةٍ يُـمحِلُ فيها النَّاسُ ويُسنِتونَ ، فهم دائمًا يطبخونَ للمُعتفِين ، ويدفعونَ الأثمانَ على مرِّ السِّنين ، وليسَ يتكلَّمُ عن يومٍ واحدٍ من الدَّهرِ ، غنِمَ فيه هذا ، أو غرمَ فيه ذاك . فهذا جوابُ الاعتراضِ .

وأمَّا الوجهُ الثَّاني في البيتِ :

وهو أجودُها في تقديري فقد بنيتُه على أنَّ (نَأسُو) ليسَ معناها هنا نُصلِحُ ، وهذا شيءٌ لـم أرَ أحدًا منهم ذَكرَه ، أعنِي تفسيرَ (نَأسُو) خاصَّةً ، وأمَّا تفسيرُ الشَّطرِ كُلِّه فكِلا التَّفسيرَين اللَّذَين اقترحتُهما لم يذكُرهما أحدٌ في ما رأَيتُ .

وإنَّما معنَى (نَأسُو) هنا : نَجعلُها أُسوَتها ، أي نُسوِّيها بها ، فلا يكونُ لواحدةٍ منهما فَضلٌ على أُختِها .

قالَ في (اللِّسانِ) : « والقَومُ أُسْوَةٌ في هذا الأَمرِ أي : حالُهم فيه واحدةٌ ... ويُقالُ : أَسَوتُ فُلانًا بفُلانٍ ، إذا جَعلتُه أُسْوتَه ؛ ومنه قولُ عُمرَ لأَبي موسى رضيَ اللهُ عنهُما : آسِ بينَ النَّاسِ في وجهِك ومجلسِك وعدلِك ، أي : سَوِّ بينَهم ، واجعَلْ كُلَّ واحدٍ منهم إِسْوةَ خَصمِه » اهـ

فكأنَّ الشَّاعرَ يقولُ : نَأسُو آثارَ أيدِينا بآثارِ أموالِنا ، أي : نُسوِّيها بها فلا يكونُ لها فَضلٌ عليها .

وقد عَرفنا آثارَ أموالِهم ، وهي ما يغرمونَه في المَيسرِ ، فما آثارُ أيدِيهم ؟ فأقولُ : آثارُ أيدِيهم هي ما ينحرونَه هُم من إبلِهم ، لضيفانِهم وغيرِهم ، في الخصبِ وفي

الجدبِ ، ويكونُ ذلك في كُلِّ حِينٍ ، وأمَّا المَيسرُ فقد ذَكرَ ابنُ قُتيبةَ أنَّه لا يكونُ إلَّا في الجدبِ في الشِّتاءِ ، ولا يكونُ في الصَّيفِ .

فالمقصودُ بآثارِ أيدِيهم أنَّ الرَّجُلَ منـهم له إبلٌ هي ملكٌ له دونَ غـيرِه ، وله بيتٌ يَغشاهُ الضِّيفانُ والمساكينُ ، يقصدونَه هو دونَ غيرِه ، فإذا غشِيَ الرَّجُلَ في بيتِه أحدٌ من هؤلاءِ ، أو سمعَ صوتَ مُستنبحٍ حولَ بيتِه قامَ إلى إبلِه ، واعتامَ خيرَها ، فعَرقبَها بسيفِه ونحرَها ، وقَرى ضيفَه منها ، وشَطرُ ما تراهُ من افتخارِهم بالجُودِ والقِرى يُريدونَ به هذا ، وشَطرَه يُريدونَ به المَيسِرَ .

وهذا الضَّربُ الَّذي هو آثارُ أيدِيهم كثيرٌ جدًّا في الشِّعرِ ، ومنه قولُ عمرِو بنِ الأهتمِ :

ومُستَنبِحٍ بَعدَ الـهُدوءِ دَعوتُـهُ ... وقَد حانَ مِن نَجم الشِّتاءِ خُفوقُ
يُعالِـجُ عِرنيـنًا مِنَ اللَّـيلِ بارِدًا ... تَلُـفُّ ريــاحٌ ثَوبَـــهُ وَبُـروقُ
أَضفتُ فَلم أُفحِش علَيهِ ولم أَقُل ... لِأَحرِمَـه : إنَّ الـمَكانَ مَضـيقُ
وقُمتُ إلى البَركِ الهَواجِدِ فَاتَّقَتْ ... مَقاحيدُ كُومٌ كالـمَجادِلِ رُوقُ
بِأَدمـاءَ مِربـــاعِ النِّـتاجِ كَأَنَّها ... إذا عَرَضَت دُونَ العِشارِ فَنيقُ
بِضَربَةِ ســاقٍ أَو بِنَجـلاءَ ثَـرَّةٍ ... لَـها مِن أَمامِ الـمَنكِبَـينِ فَتـيقُ

إلى آخرِ أبياتِه ، وأنتَ تَرى أنَّ هذا المُستنبَحَ الطَّارِئَ المُفاجِئَ ، الَّذي قد يجيءُ بعدَ نومِ النَّاسِ وهَدأتِهم ، لا يكادُ يجتمعُ له النَّاسُ للمَيسرِ والضَّربِ بالقداحِ ، ومتَى يَشتري هؤلاءِ ناقةً ؟ ومتَى تتمُّ عِدَّة هؤلاءِ الأيسارِ الَّذين يأخذونَ القداحَ ؟ ومتى ومتى ؟ وليست هذه سبيلَ المَيسرِ ، وإنَّما المَيسرُ قِرًى عامٌّ ، يُبذَلُ للنَّاسِ في نادي القومِ ، إذا عمَّ النَّاسَ الجوعُ والضُّرُّ ، وأمَّا هذه الَّتي في أبياتِ عمرِو بنِ الأهتمِ فضيافةٌ خاصَّةٌ ، وإنَّما وصفَ الشَّاعرُ هذا النَّوعَ بقولِه : « آثـارَ أيدِينا » لأنَّه يقومُ بنفسِه إلى إبـلِه ، فيعتامُ منها ، ثُمَّ يَضربُها بسيفِهِ ضربةً تُعرقبُها ، ثُمَّ يَطعنُها في منحرِها طعنةً نجلاءَ ، ثُمَّ لا يدفعُ في ذلك مالًا ولا ثمنًا لأحدٍ ، لأنَّ هذه إبلُه وهو المالكُ لها .

وأمَّا المَيسِرُ الَّذي وصفَه بأنَّه (آثارُ أموالِهم) فإنَّ الرَّجُلَ لا ينحرُ فيه من إبلِه ، وإنَّما يذهبُ الأيسارُ كما وَصفنا ، فيَشترونَ ناقةً ، وذَكرَ ابنُ قُتيبةَ أنَّهم يُحضِرونَ جازِرًا يَجزرُها ، فالرَّجلُ منهم حينئذٍ لا ينحرُ ، ولا يُعرقِبُ ، ولا يَصنعُ شيئًا من هذا ، وإنَّما يغرمُ مالًا يدفعُه بقدرِ حظِّ قِدحِه .

فهذا هو الفرقُ بينَ (آثارِ أيدِيهم) ، و(آثارِ أموالِهم) ، فالرَّجُلُ لـمَّا ذَكرَ مَيسِرَهم في هذه الأبياتِ ، قالَ بعدَها : نَأسُو آثارَ أيدِينا بآثارِ أموالِنا ، أي : نَجعلُها أُسوتَها ، ونُسوِّيها بها ، فلا يكونُ لإحداهما فَضلٌ على الأُخرى ، ومعناهُ : أنَّه كانت

لأيدِيهم آثارٌ كثيرةٌ في عَبطِ إبلِهم ، ونحرِها للضِّيفانِ على طولِ الشُّهورِ ، ثُمَّ هذه الَّتي يصفُها الآنَ في البيتَين هي آثارُ أموالِـهم في مَيسرِهم في الشِّتاءِ ، فقد لحِقَت بآثارِ أيدِيهم ، وتَساوَى الطَّرفانِ ، لا شِفَّ لأحدِهما على صاحبِه .

واعلم أنَّك قد تُنكِرُ « سُودٌ مَغارِفُنا » ، وتـميلُ إلى « بِيضٌ مَفارِقُنا » ، من غيرِ أن يكونَ لك حُجَّةٌ فيها ، وإنَّمـا هو الإلفُ وحَسبُ ، فإنَّك إن كنتَ حفظتَ هذه المقطوعةَ قديمًـا ، وجَرى هذا البيتُ على لسانك كثيرًا كما جاءَ في روايةِ (الحَماسةِ) : « بِيضٌ مَفارِقُنا » نبا سَمعُكَ عن « سُودٌ مَغارِفُنا » ، وليسَت الحُجَّةُ في الإلفِ ، ولا في التَّعـوُّدِ ، فإنَّـك لو كنتَ حفظتَـها أوَّلَ مرَّةٍ « سُـودٌ مَغـارِفُنا » ، لأنكَرَ سَمـعُك الآنَ « بِيضٌ مَفارِقُنا » .

هـذا ، وليسَت الصُّورُ الَّتي رَسمناها في تفسـيرِ البيتَين أباطـيلُ من الأوهـامِ ، لا وُجودَ لها ، بل هي موجودةٌ في شعرِ العربِ لـمَن تأمَّلَه ، وموجودةٌ في حياتِهم ، وأقربُ شيءٍ تراهُ من ذلك ما في مُعلَّقةِ لَبيدٍ ، فإنَّ فيها ما يُشابِهُ بعضَ ما ذَكرنا وصوَّرنا ، قالَ لَبيدٌ :

وجَزورِ أَيسارٍ دَعَوتُ لِحَتفِها ... بِمَغالِـقٍ مُتَشـابِـهٍ أَجسـامُها

أَدعو بِهِـنَّ لِعاقِـرٍ أَو مُطفِـلٍ ... بُذِلَت لِجيرانِ الجَميعِ لِحامُها

« بمَغالقٍ مُتشابِهٍ أجسامُها » : يُريدُ بها القداحَ الَّتي يَضربونَ بها ، ففي هذَين البيتَين ذِكرُ ضربِهم على الجَزورِ بالقداحِ ، وبذلِهم لحمَها لجيرانِهم .

فَالضَّيفُ والجارُ الجَنيبُ كَأَنَّما هَبَطا تَبالَةَ مُخصِبًا أَهضامُها

وفي هذا البيتِ ذِكرُ مَن يَغشاهُم من الغُرباءِ ، من ضيفٍ عابرٍ ، أو جارٍ مُجاوِرٍ ، والجنيبُ : الغريبُ .

تَأوي إِلى الأَطنابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ مِثلِ البَلِيَّةِ قالِصٍ أَهدامُها

وفي هذا البيتِ ذِكرُ مَن يَغشاهُم من النِّساءِ الضَّعيفاتِ المُعدماتِ ، قالَ ابن الأنباريِّ : « الرَّذيَّةُ : المرأةُ الَّتي قد أَرذلَها أهلُها ، أي : أَلقوها » اهـ و« قالص أهدامُها » : أي : تقطَّعت مَلابسُها وأخلاقُها الَّتي عليها ، حتَّى قَلَصت وانحسَرَت ، والأهدامُ : جمعُ هِدمٍ ، وهو البالي من الثِّيابِ .

وَيُكَلِّلونَ إِذا الرِّياحُ تَناوَحَت خُلُجًا تُمَدُّ شَوارِعًا أَيتامُها

وفي هذا البيتِ تشبيهُ جِفانِهم الَّتي يُقرونَ فيها لعِظمِها بالخُلُجِ جمعُ خليجٍ ، وفيه بيانُ مَن الَّذي يأكلُ منها ويَشرعُ فيها ، وهُم الأيتامُ .

وجاءَ الفرزدقُ بهذه الصُّورِ واضحةً جليَّةً فتأمَّلْها ، وخُصَّ بالتَّأمُّلِ ما بين

الأقواس ، وذلكَ في قولِه من قَصيدةٍ فاخرةٍ :

وقَد عَلِمَ (الجِيرانُ) أَنَّ (قُدورَنا) ضَوامِنُ لِلأَرزاقِ (والرِّيحُ زَفزَفُ)

ريحٌ زَفزفٌ : شَديدةٌ .

نُعَجِّلُ لِلضيفانِ في (المَحْلِ) بِالقِرى قُـدورًا بِمَعبوطٍ تُـمَـدُّ (وتُغرَفُ)

تُفَـرَّغُ في شـيزى كَأَنَّ جِفـانَـهـا حِياضُ الجِـبا مِنها مِـلاءٌ وَنُصَّفُ

تَرى (حَولَـهُنَّ الـمُعتَفينَ) كَأَنَّهُم عَلى صَـنَمٍ في الجاهِـلِيَّـةِ عُكَّـفُ

(قُعودًا) وفوقَ القاعِدينَ شُطورُهُم (قيامًا) وأَيديهِم جُـموسٌ ونُطَّفُ

« جُمُوسٌ » : معناه قد جَمَسَ علَيها الوَدَكُ أي : جمدَ ، « ونُطَّفُ » : أي : يَنطُفُ منها الودَكُ ، أي : يَقطُرُ ويَسيلُ .

ومعنى البيتِ في ما أَرى : أنَّ هؤلاءِ المُعتفِين قد أحاطوا بالجَفنةِ ، فصاروا حلقةً دائرةً ، فمنهم قُعودٌ وهم الأدنَونَ إلى الجَفنةِ ، قُعودٌ عليها يأكلونَ منها ، وخلفَ هؤلاءِ القاعدِينَ على الجَفنةِ صفٌّ قيامٌ ينتظرونَ نَوبتَهم ، فصارَ يُرى من هؤلاءِ القيامِ شُطورُهم ، أي : أنصافُ أجسامِهم ؛ لأنَّ النِّصفَ الأسفلَ من القائمِ يُغطِّيه الرَّجُلُ القاعدُ أمامَه ، فلا يُرى منه إلَّا شَطرُه الأعلى ، فتُرى شُطورُ هؤلاءِ القيامِ فوقَ

القاعدِين .

وأمَّا الأيدي الجُموسُ والنُّطَّفُ فبيانُها : أنَّ الرَّجُلَ منهم يُدخِلُ يدَه في الجَفنةِ ويُخرِجُها تنطفُ وتقطرُ ، فإذا وضعَ اللُّقمةَ في فمِه ، وانتظرَ قليلًا للمَضغِ والبلعِ جَمسَ الودَكُ على يدِه فورًا من شدَّةِ البردِ ، وهذا كالَّذي أنشدناهُ من قولِ الرَّاعي :

فباتَت تَعُدُّ النَّجْمَ في مُستَحِيرَةٍ سَريعٌ بأيدِي الآكلِينَ جُمودُها

فمعنى « وأَيدِيهم جُموسٌ ونُطَّفُ » : أنَّ بعضَهم يكونُ يَمضغُ الطَّعامَ وقد جمَسَ الودَكُ على يدِه ، وبعضُهم تكونُ أيديهم خارجةً من الجفنةِ تنطفُ ولـمَّا يجمسُ الودَكُ عليها ، والضَّميرُ في أيدِيهم عائدٌ على القُعودِ ، وأمَّا القيامُ فلَيست أيدِيهم جُموسًا ولا نُطَّفًا ، وإنَّما هم قيامٌ ينتظرونَ أن يقومَ القاعِدونَ ، فيقعُدوا مكانَهم على الجَفنةِ .

وجاءَت الصُّورُ الَّتي شرَحناها أيضًا في أبياتِ الأفوهِ الأوديِّ الَّتي أنشدناها قبلُ :

فينا لثَعلبةَ بنِ عَوفٍ جَفنةٌ يأوِي إلَيها في الشِّتاءِ الجُوَّعُ
ومَذانبٌ ما تُستعارُ وجَونةٌ سَوداءُ عندَ نَشيجِها ما تُرفَعُ

والمذانبُ : المغارفُ كما ذَكرنا .

وكأنَّما فيها المَذانبُ خِلفةً		وَذَمُ الدِّلاءِ على قَليبٍ تُنزَعُ

مَن كانَ يَشتُو والأراملُ حولَه		يُروِي بآنيةِ الصَّريفِ ويُشبِعُ

ويُريدُ بقولِه : « مَن كانَ يَشتُو » : ثعلبةَ بنَ عوفٍ المذكورَ .

وأشباهُ ذلك في الشِّعرِ كثيرٌ .

وقد فَرغتُ بهذا ممَّا أردتُّ بيانَه في قولِه : « بِيضٌ مَفارِقُنا » ، واللهُ أعلَمُ .

❋ ❋ ❋

من حلقة العلوم الشرعية

قل للذي يبغي

الخلاص من الذنوب

قصيدة نونية مربعة

رضوان آل إسماعيل

قل للذي يبغي

الخلاص من الذنوب

الحمدُ للهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رسولِ اللهِ ، وعلى آلِه وصحبِه ومَن والاهُ ، أمَّا بعدُ :

فهذه قصيدةٌ نونيَّةٌ مُربَّعةٌ ، نَظمتُ فيها ما أوردَه العلَّامةُ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللهُ تعالَى في فصلٍ من كتابِه (عدَّةُ الصَّابرِين) فيما يُقويِّ باعثَ الدِّينِ والإيمانِ ، ويُعينُ على الخلاصِ من الذُّنوبِ والعصيانِ .

وكانَ استلَّه من الكتابِ المذكورِ ، وعلَّقَ علَيه تعليقاتٍ لطيفةً المدرِّسُ بالمسجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ فَضيلةُ الشَّيخِ عبدُ الرَّزَّاقِ البدرُ حفظهُ اللهُ تعالَى ، في مُحاضرةٍ بعُنوان : (بَواعِثُ الخَلاصِ من الذُّنوبِ) ، ثُمَّ فُرِّغَت المحاضرةُ ، وطُبِعَت بعد أن راجعَها الشَّيخُ ، وزادَ فيها بعضَ الفوائدِ ، ثُمَّ رغِبَ إليَّ أخٌ فاضلٌ أن أجمعَ هذه البواعثَ في نظمٍ ، يُيَسِّرُ حِفظَها واستِحضارَها ، فكانت هذه الأبياتُ المتواضعاتُ .

❁❁❁

قُل لِّلَّـذي يَبغي الخَلاصَ مِن الذُّنوبْ

أَأَخِي وقَـد بيَّـتَّ نيَّـــةَ أَن تَـتُــوبْ

فَالْـجَـأْ إلى الرَّحْـمَنِ عَـلَّامِ الغُيُوبْ ❋ بادِرْ إلى الرَّحَـــــــماتِ دُونَ تَــوانِ

واسْمَـعْ نَصيــحَةَ مُشْــفِقٍ في قَــولِهِ

مُتَجــاوِزًا عَـمَّـا تَـــرَى في فِعْـــلِهِ

فالكامِـلُ الرَّحْـمَنُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ ❋ والنَّقْــصُ طَـبْـعٌ في بَني الإنـســانِ

وإِلَيكَ خِلِّي وَصفـةَ الطَّبِّ الـحكِيمْ

أعني بِه ابْنَ القَـيِّـمِ الـبَرِّ الكَـرِيـمْ

فيمـا يُقَوِي باعِـثَ الدِّيـنِ العَظِـيمْ ❋ لِتَـذُوقَ بَعـدُ حَــلاوَةَ الإيـــمـانِ

فَـإذا رَأَيـتَ الذَّنـــبَ بِـالإمــكانِ

في خَلــوةٍ مـــا ثَــمَّ مِـن إنســـانِ

وبُلِـيتَ بَعـــدُ بِــنَزغـةِ الشَّيــطانِ ❋ فاستَحـضِرِ الرَّبَّ العَظـيمَ الشَّـــانِ

فِي مَشْهَـــدِ الإعظَـامِ والإجـــلالِ

عَن أَن يَـــرى عَبـــــدًا لَهُ في حـالِ

مِن سُخْـطِهِ في الفِـعلِ أو في القــالِ ❋ أَنَّى يُبـــارِزُه بِـــذا العِصـــيانِ ؟!

والـمَشهدُ الثَّاني الْـمَحبَّـةُ فَاعلَـمُوا

أنَ الـمُحِــبَّ لِـمَن يُحِــبُّ مُسَـلِّمُ

طَوعُ الـحَبِيــبِ دَليـلُ حُبٍّ مُلـزِمُ ❋ هل تُقبَلُ الدَّعـوَى بِـلا بُرهــانِ ؟!

واستَحـضِرِ النِّعَـمَ الكَثـيرةَ نـازِلَهْ

كَـــرَمٌ مِن الرَّبِّ الكَـــريمِ ونافِــــلَهْ

وسَعَيـتَ بِالعِصـيانِ أنـتَ مُقابِــلَهْ ❋ شَتَّــانَ بينَ الشُّكْــرِ والكُـفْـرانِ !

حتَى مَتى تَـحيَــا كأَنَّكَ في لَعِـبْ ؟!

أوَ ما تَخافُ مِن الحليمِ إذا غَضِبْ ؟!

فتَـــوقَّ مِن حَـرٍّ ونـــارٍ تَلْتَــهِــبْ ❋ وافْــزَعْ مِن الشَّيــطـانِ لِلرَّحـمانِ

أوَ لَسْـتَ تَدري إن رَكِبتَ الشَّـهْـوَهْ

لَذَّاتُـــها تَفــنَى وتَبْــقَى الشِّــقْـوَهْ

ويَفــوتُ خَـيرٌ لَيـسَ يــأتي عُـنْـوَهْ ❋ أَعظِـمْ بِـهذا الفَـوتِ مِن حِرمـان !

وإذا هَجَــرْتَ الإثــمَ والعِصــيانَـا

فلَقَــدْ قَهَرْتَ النَّفـسَ والشَّـيطانَـا

أَرْضَيـتَ مَن بِكَ لـم يَـزَلْ رَحـمـانَا ❋ لِتَــذوقَ طَعــمَ العِـــزِّ بِالإذعــانِ

ولَئِن تَرَكْـتَ مَـحـارِمًـا مِن أَجـلِهِ

فَانظُـرْ إِلى مَــنِّ الإلَــهِ وفَضــلِهِ

عِوَضٌ عَظيـمٌ لَن تَـرى مِـن مِثْـلِهِ ❋ وخَزائِــنُ الـمَـولى بِــلا نُقصـــانِ

فإذا صَــبَرتَ عن الـمَعاصي يـا أَخي

أَبصَرْتَ نُورًا بَعـــدَ لَيْـــلٍ دائِــخِ

وعَلَــوتَ في شَرَفٍ وعِـزٍّ شــامِخِ ❋ بِمَعيَّـةِ الـمَـولَى لِــذي الإحســانِ

وَانظُــــرْ إلى مَن حــالُهُ في غَفـــــلَةِ

قَـد ظَــنَّ ظَــنًّـا أنَّـــه في مُهــلَةِ

والـمَوتُ داهَــمَه فهَــلْ مِن حَسرةٍ ❋ كبُـكاءِ أَهلِ الظُّــلْمِ والعُــدوانِ ؟!

والنَّـــاسُ إمَّــا مُبتَــــلًى ومُـعــافَى

والـمُبتَــلَى الـحَـقُّ الَّذي مـاعـافَـا

شرَّ الـمَعـاصي والـهَوَى استِخْـفافَا ❋ فبَــلاؤهُم في الـدِّيـنِ لَا الأبــدانِ

عَـوِّد دَواعي الـدِّينِ في رَدِّ الـهَــوَى

بتَـــدَرُّجٍ حتَّى تَزيــــدَ بِـك القُـوَى

لا تَضعُـفَـنَّ إذا أَردتَّ دَوَا الــدَّوَى ❋ وهُو الـجِــهادُ جِهـــادُ كُلِّ زَمـــانِ

والنَّفـسُ ذي أمَّــــــارةٌ بِالسُّـــــوءِ

فَاقطَـعْ خَواطِـــرَها لِفَــورِ نُشُــوءِ

فَالـحَزمُ أَنفــعُ ما يُـــرَى لِـــبُروءِ ❋ مَن خاضَ يَومًــا مـا تَـوقَّ الثَّـــاني

إنَّ الشَّقيَّ لَـمَـــنْ أَطـــاعَ هَـــواهُ
فَاصرِفْ هَـواكَ لِـما يُـحِـــبُّ اللهُ

فسَــعادةُ الإنســانِ مــا يَـرضـاهُ ❋ ويَقـــيهِ شَرَّ النَّفـسِ والشَّيـطانِ

وَانظُـــــرْ لِآيِ اللهِ في قُـــرآنِـهِ
وَالْـحَـظْ بَديـــعَ الآيِ في أَكـــوانِهِ

وجَـميعُ هذا الـخَلقِ مِـن إحســانِهِ ❋ سُبحــانَهُ بـــاقٍ ولَيـــسَ بِفـــانِ

لكنَّـــما الدُّنـيـا فَـــدارُ فَـنــاءِ
عَنها فَـمِلْ وَاعمَــل لِّــــدارِ بَقــاءِ

ما هـــذهِ مِـــن هـــذهِ بِسَـــــواءِ ❋ أَتبـيـعُ ذا رِبـحٍ بِـذي خُـسرانِ ؟!

إن غَـــرَّكَ العِـــــزُّ الَّـذي يَبـــدُو
يَومًـــــا إلى ذُلٍّ تَـــــرَى يَغـــــدُو

والضِّـــدُّ يُظــــهِرُ وَصفَـــه الضِّــدُّ ❋ بِاللهِ قُـلْ هَـلْ يَستـوِي الضِّـــدَّانِ ؟!

وكَذلِكَ الأَمْنُ الغِنَى الفَرَحُ
خَوفٌ وفَقرٌ بَعدَهُ تَرَحُ

أَهلُ الدُّنا حِينًا إذا فَرِحُوا ❋ حَتْمًا مَآلُهُمُ إلى الأَحزانِ

أَمَّا النَّعيمُ الدَّائِمُ الأبَدِيْ
فمِنَ الإلهِ الواحِدِ الأَحَدِ

بِسعادَةٍ مِن غَيرِ ما نَكَدِ ❋ يَومًا إذا قِيلَ : (ادْخُلُوا لِجنانِ)

فَالْجَأْ إلى رَبِّ العِبادِ وقُل لَّهُ
ما تَشتَكي في رَغبَةٍ فلَعَلَّهُ

لَم يَمْنَعَنْ إلَّا لِيُعطِيَ مِثلَهُ ❋ والكُلُّ تَحتَ تَصرُّفِ الرَّحمانِ

والعَبدُ بَينَ الجاذِبِ العُلْوِيِّ
في شَدِّهِ والجاذِبِ السُّفلِيِّ

أهلُ العُلا يَصْبُونَ لِلْعِلِّيِّ ❋ أَهلُ الهَوى يَهْوُونَ كُلَّ هَوانِ

والقَلـبُ مِثلُ الأرضِ قَبـلَ الـحَرْثِ

لا بُـدَّ مِـن إصــلاحِـها والبَـحْـثِ

مَعَ بَــذرِها ثُــمَّ انتِظــارِ الغَــيْـثِ ❋ والـــزَّرعُ لا يَنــمُو مَـــع الأدرانِ

واعلَمْ بأنَّــكَ إن أَردتَّ خَــلاصَــا

مِــمَّــا تَخـافُ فقَـــدِّمِ الإخــلاصَـا

وَاعْصِ الهَوى مَهْمَـا وَجدتَّ مَناصَا ❋ وَاهجُــرْ صِحابَ الظُّـلمِ والطُّغـيانِ

18–19/ شعبان/ 1439

❋ ❋ ❋

من حلقة الأدب والأخبار

ألغاز وأحاجي شعرية

(8)

جلساء الملتقى

ألغازٌ وأحاجيٌّ شِعريَّـة (8)

من نَظمِ بعضِ جُلساءِ الملتقَى

الحمدُ لله رَبِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على رَسولِ الله خاتَمِ النَّبيِّينَ ، وعلَى آلِه وصَحبِه أجمعينَ ، ومَن تَبِعَهم واستنَّ بسُنَّتِهِم إلى يومِ الدِّينِ ، أمَّا بَعدُ :

فَهذِه طائِفةٌ أُخرَى مِن الألغازِ والأحاجيِّ الشِّعريَّةِ ، اختَرناها لكُم مِن حَديثِ جَلِيسِنا في المُلتَقى الأستاذِ الباز حفظه الله تعالى المعَنْوَنِ بـ (**أَلْغَازٌ وأحاجِيٌّ شِعريَّة**) ، اقتَصرنَا فيها كذلك على ما كانَ مِن مَقولِ جُلسائِنا الكِرامِ ، دُونَ ما كانَ مِن مَنْقولِهِم .

❋❋❋

1. قالَ (أحمد البخاري) مُلغِزًا :

أيَـا لَبيبًـا قـَدْ بَـنَى ❋ فَوْقَ السِّـــماكِ بَيْتَـهُ

ما اسْمٌ إذا فكَّرتَ في ❋ مَعْكوسِـهِ أَلْفَيْـــتَهُ

وإن تُـرِدْ تَصْحيـفَهُ ❋ وَجَدتَّ وَصْـفًا حُزْتَهُ

2. وقالَ أيضًا :

ما اسْـمٌ ثُـلاثيٌّ ومَعْـكُوسُـهُ ❋ يَبْـدو بِـلا واوٍ يُـرَى آخِـرَهْ
إن رُمْتَ تَصْحـيفًا لهُ مُخلِصًا ❋ نِلْتَ الدُّنَى ما شِئتَ والآخِرَهْ
اقْلِبْ وصَحِّـفْ لَفظَهُ باسِمًا ❋ تَغْزُ الفَضَا في لَـمْحَـةٍ عابِرَهْ
ثُلْثاهُ وَحْشٌ ذِكْـرُهُ في السَّـما ❋ فاعْجَبْ لِلُغْزٍ قَـدْ غَدا نادِرَهْ

3. وقالَ أيضًا :

حاجَيْتُكُم ما لَفْـظَةٌ مِنْ أَرْبَعَـهْ
إذا بَدَتْ وَسْطَ القِصاعِ المُترَعَـهْ
تَخـالُـها سُمْرَ الرِّمــاحِ مُشرَعَـهْ
كأنَّ قَـيـــلًا قـد أَتى أو تُبَّـــعَهْ
ولَو تَراها في اللَّيــالي المُصْقَـعَهْ

والقَــومُ جَوْعَى حَوْلَــها مُقَنَّـعَهْ

كأنَّــها رِيــمٌ خَلَــتْ بمَسْبَــعهْ

أو سيِّــدٌ مُجَنــدلٌ في مَعْــمَعَهْ

تَنُوشُـهُ غُلْبُ الرِّجـــالِ الموجَعَهْ

والنَّاسُ قِدْمًـــا بالهَـنيءِ مُولَعَهْ

تَصْحيــفُها بهِ تَمـــامُ المَنفَـعَهْ

ذو أَوجُـــهٍ فيـــهِ اللآلي مُــودَعَهْ

أسْرارُهُ لا تَنقَــــضي مُنَـــوَّعَهْ

يقريكَ ظَــرْفًا وفُنونًـــا في دَعَهْ

ونُكتَـةً لَطيـــفَةً مُستَـــودَعَهْ

وحِكْــمَةً وفِكْــرَةً مُبتَـــدَعَهْ

معْ خَـبَرٍ مِن غَيرِهِ لَـــن تَسمَـعَهْ

فلا تَـدَعْ رَوْضَ الحِجَى ومَرتَعهْ

والْزَم حِـــماهُ لا تُفــارِقْ أربُعَهْ

ورِدْ بحَـزمٍ لا ظَمِــئتَ مَشرَعَــهْ

مَعكوسُـهُ سِـترٌ بـدا ما أَنفَــعَهْ

وأَنتَ ما أَهمَــلتَهُ في مَضيَــعَهْ

وقَلْـبُهُ لَو صُحِّــفَ اللَّفـظُ مَعَهْ

ذَكَرْتَ خَمرًا قد صَفَتْ مُشَعشَعَهْ

4. وقالَ أيضًا :

ما اسْـمُ نَبْـتٍ أَبِنْ لَنا يا لَبيبُ ❋ قَلـبُهُ داءٌ ضَـلَّ فيهِ الأَريــبُ

ثُلْــثُهُ الثَّـاني لَوْ تأمَّــلْتَ خَمرٌ ❋ وهْوَ عَينٌ في العَـينِ بـادٍ قَريبُ

لَوْ حذَفتَ الأخـيرَ منهُ تبَـدَّتْ ❋ أرضُ قَوْمٍ للعُجْمِ فيـها دَبيـبُ

أَو أزَلْـتَ القَريــبَ يومًـا تَراهُ ❋ سائـلًا يَزْهو ما عَلاهُ اللَّـهيبُ

وهْوَ مِنْ غيرِ الخَصْرِ يُلْفى إذا يُعْـ ❋ ـكَسُ حَقًّا مَعنًى سَما يا نَجيبُ

❋ ❋ ❋

5. وقالَ (محمد بن عبد الحي) مُلغِزًا :

وما نِضْوُ أسْفــارٍ أَكَلْــنَ شَبـابَه ❋ يُؤَمُّ بــه أقْصَى البِــلادِ فيُنْجِحُ ؟

ويَحْـمِلُ في بَـرٍّ، ويَحْـمِلُ مُبْـحِرًا ❋ ويَعْرُجُ في جَـوِّ السَّـماءِ فيَسْـبَحُ

ولَيْسَ بمِنْطِيقٍ، ولَيْسَ بأعْجَـمٍ ❋ ولٰكنْ إذا اسْتَنطَقْتَه فهْوَ يُفْصِحُ

ومِنْ عَجَـبٍ أنِّي إذا رُمْتَ بَيْعَهُ ❋ فلَيْسَ بمَبْــغِيٍّ، ولا هُوَ مُرْبِــحُ

أُعَيْجِفُ يُعْيِـيهِ احْتِمالُكَ مُرْدَفًا ❋ ويَحْـرُنُ لا يمضي هُنـاكَ ويَطْـلَحُ

فإنْ تكُ تَدْريــهِ فهــاتِ جَوابَـه ❋ وإلا فتَصْحيفُ الـجَوابِ يُوضِّحُ

❋ ❋ ❋

6. وقالَت (عائشة) مُلغِزةً :

أُحاجيــكَ ما اسْمٌ مِن ثـلاثةِ أحْرُفٍ ❋ ويَغْـدو إذا أسْقَـــطتَ أوَّلَـهُ حَرْفَـا
وإنْ حُذِفَ الثَّـــاني فحَرْفٌ وذو بِنًـا ❋ وثُلْـثـاهُ إنْ أبْصَرْتَ أَلْفَيْـتَه ظَرْفَـا
وهُـوَّ بِعَكْـسٍ حَرْفٌ ايْـضًـا أَيَـا أَخِي ❋ وإن شِئتَ أبدَى العَكْسُ فِعْلًا فلا يخْفَى

❋ ❋ ❋

الأَجوبــةُ

1. جوابُ اللُّغزِ الأوَّل :

(**ليبيا**) : فمعكوسُه في الصُّورةِ نفسُه .

وتصحيفُه : (لَبيبًا) ، وهو مذكورٌ في أوَّلِ اللُّغزِ .

2. جَوابُ اللُّغزِ الثَّاني :

(**دُبَي**) : فمعكوسُه : (يَبْدُو) ، ولكنْ بلا واوٍ في آخرِه

ومُصحَّفُه (دُنَى) .

وقد يُصحَّفُ أيضًا إلَى (دِين) ، ومَن رامَ الدِّينَ مخلصًا نال خيرَ الدُّنْيا والآخِرةِ .

ومقلوبُه مع تصحيفِه : (بِيد) جمع بَيْداء ، وهي الفَضاءُ الواسِعُ .

وثلثاه (دُب) ، وهو الحيوانُ المعروفُ ، وفي السَّمـاءِ النُّجومُ المسمَّـاةُ بالدُّبِّ الأكبرِ ، والدُّبِّ الأصغرِ .

3. جوابُ اللُّغزِ الثَّالِث :

(**الكَباب**) : فتصحيفُه (كِتاب) .

ومعكوسُه (بابك) .

وهو مصحَّفًا (بابِل) ، وإليه تُنسَبُ الخَمْرُ .

4. جوابُ اللُّغزِ الرَّابِع :

(**القمح**) : فمقلوبُه : (حُمْقٌ) ، والحماقةُ أعْيَتْ مَن يُداويها . و(ثُلْثُهُ الثَّاني) : حَرْفُ الميمِ ، والميمُ : الخَمْرُ – كما في « التَّاج » – ، وهذه الميمُ يَظهرُ رَسْمُها في عَينِ النَّاظر كعَينِ النَّاقةِ ، وقد أشار بذلك إلى قَوْلِ ذي الرُّمَّةِ يصفُ ناقتَه:

كَأَنَّما عَيْنُها مِنهَا وَقَد ضَمرَتْ وضَمَّهَا السَّيْرُ في بَعْضِ الأَضَا مِيمُ

وبحذفِ الأخيرِ : (قُم) ، وهي بلدةٌ معروفةٌ . وبحذفِ الأوَّلِ : (مُحّ) ، وهو صُفْرة البَيْضِ .

وبحذفِ وسَطِه : (حَقّ) ، وهو معنًى سامٍ ، وقد صرَّح بلفظِه في البيتِ .

5. جوابُ اللُّغزِ الخامِس :

(**جَوازُ السَّفر**) : فإنَّه يُرافقُ صاحبَه في كُلِّ أسفارِه ، ويُفصِحُ عن حقيقةِ صاحبِه دونَ أن يتكلَّمَ ، ولا قيمةَ له إلَّا عندَ صاحبِه ، وتصحيفُه في لفظِ (الجَوابِ) .

6. جوابُ اللُّغزِ السَّادِس :

(**مَعنٌ**) : فهو بإسقاط أوَّلِه : (عَنْ) ، وهو حرفٌ من حروفِ الجرِّ .

وبحذفِ ثانِيه : (مِنْ) ، وهو حرفٌ كذلك ، أو (مَنْ) ، وهو اسمٌ من الأسماءِ المبنيَّة .

و(ثُلثاه) : (مع) ، وهو ظرفٌ .

وعَكْسُه : (نعم) ، و(نَعَمْ) حَرْفُ جوابٍ ، و(نَعِمَ) و (نِعْمَ) فِعْلانِ .

❀❀❀

من حلقة الأدب والأخبار

إبداعات أدبية

شعرية ❖ نثرية

جلساء الملتقى

حُميَّا الإيعاد

للشَّاعر صالح العَمْري

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّدٍ ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ ، أمَّا بعدُ : فقد نظمتُ من قبلُ ثلاثَ قصائد في تهدُّدِ اللِّيبراليِّينَ وتوعُّدِهم ، وقد قلتُ في أَولاهُنَّ :

سيأتيكُمُ منِّي على نَأْيِ دارِكُمْ ❁ قَصائدُ لا يأتِينَكُم بالمَعاتِبِ

بها تُنفَضُ الأحلاسُ في كُلِّ مَشرِقٍ ❁ ويَحدو بها الرُّكبانَ أهلُ المَغارِبِ

فهذا الفعلُ من إمضاءِ ذلك القولِ .

ولا يَنبغي أن يَكرهَ مُسلمٌ الكلامَ في هؤلاءِ الزَّنادقةِ ، والإغلاظِ لهم ، والتَّنكيلِ بهم ، فإنَّهم قد آذَوُا اللهَ ورسولَه والمؤمنينَ . وهذا أحدُ رُؤوسِهم المعروفِين ، وهو يكتبُ في صحيفةٍ معروفةٍ ، يقولُ عن الإمامِ البُخاريِّ : إنَّه كانَ مجوسيًّا ، وكانَ يضعُ الحديثَ على رسولِ اللهِ ﷺ ويقولُ : في البُخاريِّ ومُسلمٍ خمسةُ آلافِ حديثٍ موضوعٍ ! فانظُروا إلى هذا المُجرمِ ، وجُرأتِه على المسلمينَ ، وأشباهُ هذا كثيرونَ ، فقُلتُ مُستعينًا باللهِ :

لا يسعــينَّ إلى العِــباد بفتــنةٍ ❋ من كان يَخشَى منكمُ أَن يَضْرَعا

وإذا اللبيبُ رأَى مَصارعَ مَعشرٍ ❋ نَكَلَ اللبيبُ مَخافةً أَن يُصرَعا

فتَجنَّبوا الـماءَ الذي شرِبوا بهِ ❋ لا تشربوهُ ، ســاءَ ذلك مَكـرَعا

قد كانَ أَوصـاكُم أَبوكُم زَنْدَقٌ ❋ فرأَيـتُ منكُم حافِـظا ومُضَيِّـعا

« إيـاكُمُ وأُولـئـكَ الأعـرابَ في ❋ أَرض الجزيرةِ فاسمَعُـوني مَسْـمَعا

كم رامَهُم من قبلِكُم مُتَزَنـدِقٌ ❋ لَمَّا رأَى الفَرْسَى هنـاك تَكَعْكَعا

إِنِّي أَرى فيـما غَنِمْـتُم من بـــلا ❋ دِ المُســلِمين كِـفايةً أَو مَقْـنَـعا

فَـذَرُوا الجزيـرةَ لا أَبـا لأَبيـكُمُ ❋ إِنِّي أَخافُ عليكُمُ ذا المَطْمَعا »[1]

مـا بَـرَّ ذاك الشَّــيخُ إلَّا يـومَ أَو ❋ صـاكُمْ بِـما أَوصَى بــهِ إِذ وَدَّعا

فَخُذوا بِـما أَوصاكُمُ فَوصِيَّةُ الـ ❋ ـهِمِّ الكَبــيرِ حَرِيَّــةٌ أَن تَنـفَـعا

(1) ما لُوِّن بالأزرقِ ، وجُعِلَ بين قوسَينِ من كلامِ أَبيهم زَنْدَق .

وإِذا عَثَرْتُمْ بعـــدَ ذلكَ فاقْنَـطُوا ❋ من دَعْدَعٍ ، لا تَطْمَعوا في دَعْدَعا

أَحَسِبْتُـــمُ أَنَّ الجـــزيـرةَ تُستَبـــا ❋ حُ بِأَعـوَرَينِ وأَجْذَمَـينِ وأَفْـدَعا

أَوَ مـا سَمِعـتُمْ بابنِ عَبَّـادٍ وبـالـ ❋ ـفوزانِ والـبَرَّاكِ [2] آسادِ الوَعَى [3]

---

(2) أرادَ : العُلماءَ الفُضلاءَ عبدَ المحسنِ العبَّاد ، وصالحَ بنَ فوزانِ الفوزَان ، وعبدَ الرَّحمن بن ناصِر البرَّاك ، وإنَّما خصَّهم لتنكيلِهم بالزَّنادقةِ .

(3) « الوَعَى » : بالعينِ المُهمَلةِ ، وهي (الوَغَى) بالغينِ المُعجَمةِ لا فرقَ بينَهما ، وكِلاهما معناهُ : الجَلبةُ وارتفاعُ الأصواتِ ، فهذا أصلُ معنَى الوَغَى ، قالَ المُتنخلِ بنِ عُويمِر الهُذليِّ يصفُ ماءً ، وهي من مُنتقياتِ (الجمهرةِ) :

كَأَنَّ وَغَى الخـموشِ بِجـانِبَـيهِ وَغَى رَكْبٍ ، أُميمَ ، أُولي زِياطِ

والخموشُ : البعوضُ ، وهو يألفُ الماءَ . ووغاهُ : صوتُه .

ثُمَّ سُمِّيَت الحربُ وغًى من هذا ، لأنَّه يكثرُ فيها ارتفاعُ الأصواتِ والجَلبةِ ، وهذا ليسَ استنباطًا من عندي ، بل نصَّ عليه أهلُ اللُّغةِ ، وقالَ المُتنبِّي :

يَهتزُّ لِلجَـدوَى اهتِـزازَ مُهَـنَّدٍ يَومَ الرَّجاءِ هزِزتُه يومَ الوَعَى

أي : يهتزُّ للعطاءِ يومَ الرَّجاءِ اهتزازَ سيفٍ هززتُه يومَ الوغَى .

والـمتنبِّي عالـمٌ بالعربيَّةِ ، يدلُّ على ذلك ما رُوِيَ عنه من أخبـارٍ ، وبذلك فسَّرَها شُرَّاحُ ديوانِه ، قالَ أبو العلاءِ في (مُعجز أحمدَ) : « الوَعَى غيرُ مُعجَمٍ ، بمعنَى الوغَى بالإعجامِ : وهو الحربُ » اهـ

نَبَـذَ ابنُ عَبَّـادٍ إِليكُمْ سِلْمَكُمْ ❋ إِنِّي أَراهُ للقِـــتـالِ تَشَـــنَّعا

وأَراهُ يَسْتَبِــقُ الكــتائِبَ مُعْلِـمًا ❋ ما كانَ إِنْ شَهِــدَ الهِــياجَ تَقَـنَّعا

لَـمَّا رأَى الزِّنـديقُ طَلْـعَةَ وَجْـهِهِ ❋ شَرِقَ الخَبـيثُ بِرِيقِــهِ وتَهَــوَّعا

كيـفَ الفِـرارُ وأَنـتَ في أُهْـوِيَّـةٍ ❋ رَمَسَـتْكَ غَيرَ أَبي ذَوائِـبَ[4] أَينَعا

هذا الذي قَد حــانَ يَومُ قِطـافِـهِ ❋ أَحْبِــبِ إِلَيَّ بِمِثْــلِ ذلكَ مَـزْرَعا

مَن كانَ غَرَّكُـمُ بِـنا حَتى اسْتَحَرْ ❋ رَ القَتـلُ في جِعْـلانِكُمْ أَو أَسرَعا

هل كانَ غَرَّكُـمُ مَعُــونَةُ فــارِسٍ ❋ لَكُـمُ ورِفْـدُ الغَرْبِ أَجْمَـعَ أَكْتَـعا

أَم كانَ غَرَّكُـمُ يَــدٌ عنـدَ اليَـهو ❋ دِ بِـما فَتَحْـتُـم للرَّذائِـلِ مَهْـيَـعا

لَسْنا نُــبالي ما اتَّخَـذْتُم عِنــدَهُمْ ❋ أَيَـدًا تَخِذْتُـمْ عِنـدَهُم أَم إِصْـبَـعا

فامضُـوا على أَيِّ المَســالِكِ شِئْتُـمُ ❋ إِنَّ السَّبيـلَ قد استبَـانَ المُـشْرَعا

أَوَ ليسَ في هـذا الوَعِيــدِ زَواجِرٌ ❋ ورَوادِعٌ ، لو تَسْمَـعُونَ المُسْــمِعا

أَوَ ليسَ في هذا الوَعِيـدِ زَمــاجِرٌ ❋ وقَـوارِعٌ ، إِنِّي قَرَنْتُـــهُما مَـعـا

---

(4) أبو ذَوائِب : رأسُ الزِّنديقِ .

تخميس

نونية ابن زيدون

(أضحى التنائي بديلا عن تدانينا)

للشّاعر أحمد المساح المعمري

يا عيدُ عُـدتَّ وقد عاثَــت أعادِيــنا

في روضِ أفئــدةٍ كانت تُصـــافِيــنا

فقلـتُ ما قــاله مَن قـالَ محزُونـــا :

« أضـحى التَّـنائي بديـلًا من تَدانينـا ❋ ونابَ عن طيـبِ لُقـــيانا تجافِيــنا »

قـــد كانَ جـمَّـعَـنا وُدٌّ وفـرَّحَـــنَا

دهـرًا فـحَـلَّ بنا خَطْـبٌ وقَـرَّحَـنَا

فانقـضَّ حاســدُنا غدرًا وجَرَّحَــنَا

« ألا وقد حانَ صُبحُ البَـينِ صبَّحَـنَا ❋ حَـينٌ فقـامَ بنا للحَـــينِ ناعِيــنا »

ما زالَ حبُّـهُـمُ بعـــدَ ارتحالِــهِمُ

في القلـبِ مسكـنُهُ لو طـالَ بُعـدُهُمُ

يا ليـتَ شِعـري وقد شـدُّوا رحالَـهُمُ

« من مبلِـغُ الـمُلبِسينا بانتزاحِهُـمُ ❋ حُزنًـا مع الدَّهرِ لا يَبـلى ويُبليـنا »

لسنا نُعاتِـبُ مهـما نابَنـا الزَّمَـنا

ولن نقـولَ وإن حـلَّ البــلاءُ بنـا

كما يقولُ محـبٌّ في الـهوى سُجِـنَا

« أنَّ الزَّمـانَ الَّذي ما زالَ يُضحِـكُنا ❋ أُنسًـا بقُربِهـمُ قـد عادَ يُبكيـنا »

واحسرَتـاه عليــهم مـا دَرَوا وَوَعَـوا

وفارَقوا روضـةً فيــها الودادَ رَعَـوا

فما الَّذي يبتــغي مَن في الجـفاءِ سعَوا

« غِيظَ العِدا مِن تَسَاقِينا الهوى فَدَعَوا ❋ بأن نَّغَـصَّ فقـالَ الدَّهـرُ : آمِيـنـا »

كانـت تَّزينُ بلُقــياكُم مَّجالسُــــــنَا

وفي فُنــونِ الهــوَى يحلُــو تدارُسُــنَا

وكم تُعُجِّــبَ دَهــرًا مِن تجانُسِــــنَا

« فانحـلَّ مَا كانَ مَعقُــودًا بأنفُسِــنا ❋ وانبَتَّ ما كانَ موصــــولًا بأيديــنا »

بالأمسِ كان صــفاءُ الوَصـلِ يُغرِقُـنَا

في بحرِهِ وبحُسـنِ القــولِ يَصـدُقُــنَا

وما نـرى في الهـوى هـمًّـا يـؤرِّقُــــنا

« وقــد نكونُ وما يُخشَى تفرُّقُــنا ❋ فاليـومَ نحـنُ ومــا يُرجَى تَلاقيــــنا »

يا هـاجـرِيَّ ألَا رِفـقًـا بصاحِبِـكُمْ

ما كنـــتُ أحسبــني يومًا مُفارِقَكُمْ

وما أنـــا مُنكِـرٌ لــؤمًـا أيــادِيَكُمْ

« يا ليتَ شعري ولم نَعتـب أعادِيَكُمْ ❋ هل نــالَ حظًّا من العُتــبى أعادِيـنا »

لم نتَّـخِذْ مَنزلًا مُذْ نـــــاءَ منزلُكُمْ

ومـــا رأيـنا خليــلًا ثَمَّ يعـــدِلُكُمْ

لِذا نقـولُ - ومـا نرضى تحوُّلَكُمْ - :

« لم نعتـقدْ بعدَكم إلَّا الوفاءَ لَكُمْ ❋ رأيًـا ولـم نتقلَّـــدْ غـيرَهُ دِيـنا »

باللهِ لا تقتـلوا ذا القلـبَ من كَـمَد

أو تسلبـوا منه عيشَ الوصـلِ في رَغد

فوالَّـذي خلـقَ الإنســانَ في كَــبَد

« ما حقُّـنا أن تقِرُّوا عـينَ ذي حسَـد ❋ بـنا ولا أن تُسِرُّوا كاشِـحًا فيـنا »

نِعـم الوصـــالُ وصـــالٌ لا يناقِضُـهُ

قَطعٌ ، ومـا في الورى شيءٌ يعـارِضُـهُ

وما يقــولُ ذوو الأحقــادِ نرفضُـــهُ

« كُنَّـا نرَى اليأسَ تُسليـنا عوارِضُـهُ ❋ وقد يئِسـنا فما لليَـأسِ يُغريـنا »

بِنْـتُم فـما صُرِفَـت عنكم مَّدائحُـنَا
ولن تُقـــصِّرَ مـا عشـــنا نصائحُـــنا
وكم سيُنشـدُ وقتَ البَـــينِ صادحُـنا
« بِنْتُـمْ وبِنَّا فــما ابتلَّــت جوانِحُـــنا ❋ شوقًـا إليكم ولا جفَّــت مآقِيـــنا »

ما كَيــدُ حاســـدِنا واللهِ ضــائرُنـا
وفي ظـواهـرِنَـا تبـــدو سرائـــرُنا
وإنَّـنـا حينـــما تصـفـو مَشاعرُنـــا
« نكادُ حـينَ تُناجيـكُمْ ضمـــائرُنا ❋ يقضي علـيـــنا الأسى لولا تأسِّـــينا »

حلَّـــت بقلـبِ مُحـبٍّ حُرقـةٌ وبَـدَتْ
في وجهِ مَن نَّفـسُهُ للهاجـرين فَـدَتْ
وفي قصائــدِنا الأحــزانُ قد نُشِــدَتْ
« حالَـت لفــقدكُمُ أيَّامُنا فغَــدَتْ ❋ سُوداً وكانـــت بكم بِيضـا لَياليـــنا »

ومــا نَسِينَــا زَمَـانًا من تعكُّــفِــنا

في حبِّــكُمْ ورحيــقًا من ترَشُّـــفِـنا

فهل ذَكَرتُــمْ عُهُــودا مِنْ تزلُّـفِـــنا

« إذْ جَانــبُ العيشِ طَلقٌ من تألُّــفِـنا ❋ ومَربَعُ اللَّهــوِ صافٍ من تَصافيـنــا »

تغــدو الـمودَّةُ بالتَّــذكارِ بـاقيـــةً

فَهَلْ ذكرتُـــمْ طيورَ الحـــبِّ شَادِيــةً

في روضِـــنا ومغـــاني الودِّ زَاهِــيــةً

« وإذْ هَصَرنَـــا فُنـــونَ الوصـلِ دَانيـةً ❋ قِطافُــها فجنَينــا منـــه مـا شِينَـــا »

إن كانُ يرضيكُمُ دِيـنُ النَّوَى حَكَمَا

فـمـا نَـــرى لجراحٍ منكُــمُ ألَـــمَا

لكن نَّقـولُ وقد أضنى الهَـوَى سَقَمَا

« لِيُسْقَ عَهـدُكُمُ عهدُ السُّرُورِ فَـمَا ❋ كنـــتُمْ لأرواحِــنَـا إلَّا رياحِـينـــا »

لولا الـمَـــلامَةُ أو واشٍ يُعَـــيِّرُنَـــا

لـكانَ غـــيرُكُمُ خِــلًّا يُصَـــيِّرُنَا

لكنْ لنـــا في الهـوى عَهْــدٌ يُسَيِّرُنَا

« لا تحسـبوا نـأيَكُمْ عــنَّا يغــيِّرُنَـا ❋ أنْ طالـما غـيَّرَ النَّـأيُ الـمُحبِّينــا »

لا تجعـلوا للنَّـوَى حَــدًّا ولا أجَــلًا

فسـوفَ نَضربُ في حُسْـنِ الوَفـا مثَلًا

وإنْ أتـانا الهـوَى مِن باعِـثٍ أمَـــلًا

« واللهِ مـا طَلبَـتْ أهوَاؤُنَـــا بَـــدَلا ❋ منكُمْ ولا انصَرَفَت عنكُمْ أمَانِينا »

نأَى ومــــا نــاءَ في يــومٍ بطالِبِـــــهِ

يا ليتَنــا قـــد سرَينــا في ركائِـبِــهِ

وليتَنـا مـا حُرِمْنَــا مِن سَحَـــائِبِــهِ

« يا سـاريَ البَرقِ غادِ القَصرَ واسقِ بِهِ ❋ مَـن كان صِرفَ الهوَى والودِّ يسقِينـا »

إنَّـا بَعثـنا الهـوى عينًا يخـبِّرُنَـا

وقـد صبَرنا ومـا يُغـني تصـبُّرُنَا

فارحـلْ إليـه فقد أضـنى تفكُّـرُنا

« واسـألْ هنـالك هل عـنى تذكُّرُنـا ❋ إلـفًـا تذكُّـرُهُ أمـسى يُعَنِّينـا »

إنَّ الوفـاءَ لهُـمْ أضحى سَجِـيَّتَنَا

فيـا زهـورَ الوفـا كُوني هديَّتَنـا

لـمَن سَرى وأبَى - زُهـدًا - معِيَّتَنَـا

« ويـا نسيمَ الصَّـبا بلِّـغْ تحيَّتَنَـا ❋ مَن لو على البُعـدِ حَيًّا كان يُحيِينـا »

خذوا سـلامي بأصفى الحبِّ يَبلُغُكُمْ

وذا فـؤادي بكلِّ الخـيرِ يـذكُرُكُمْ

وقـد نقـولُ إذا ما الشِّعرُ طابَ لكُمْ

« إنْ كان قد عزَّ في الدُّنيا اللِّقاءُ بكُمْ ❋ في موقِفِ الحَشرِ نلقاكُم ويَكفينا »

فسبِّح بحمد الله

للشّاعر حسن الحضري

تعاليتَ ربَّ النَّاس أنتَ المُؤَمَّلُ ❃ وأنتَ الإلهُ الواحدُ المُتَفَضِّلُ

وَقفنا بأبوابِ الرَّجاءِ وما لنا ❃ سواكَ عَلَى الأيَّامِ مَلْجَا وموئلُ

وفي كُلِّ شيءٍ حولَنا منكَ آيةٌ ❃ تُسبِّحُ باسمِ اللهِ أو تتبتَّلُ

لقد كان في السَّبعِ الطِّباقِ بصائرٌ ❃ وفي الطَّيرِ أدناها لِمَنْ كان يَعقلُ

وفي الأرَضِينَ الحاملاتِ ثِقالَها ❃ وفي الشَّامخاتِ الصُّمِّ تعلو وتَسفلُ

وفي الجارياتِ الفلكِ بينَ حَبابها ❃ تؤمُّ بهم شطًّا وإن شئتَ تَخذلُ

وفي وَدَقِ الغيثِ اشرأبَّ لِوَقْعِهِ ❃ مَواتُ الثَّرى فارتدَّ بالغيثِ ينهلُ

فلبَّيكَ ربَّ النَّاس ما ليَ دونه ❃ وليٌّ ولا يومًا سوى الله أسألُ

دعوتُك في جُنحِ الظَّلامِ فضاءَ لي ❃ بعفوكَ نورٌ دونَه الشَّمسُ تُقْبِلُ

إذا النَّفس قادَتني إلى سُوء صُنْعِها ✽ وأذعَنَ منها واجِسٌ مُتأمِّلُ

ذَعرتُ فؤادي فاستجار بِلُطْفِهِ ✽ فجادَ بنُعْمى ما لها بعدُ مُبْطِلُ

دَعونا فأعطيتَ الجزيلَ ولم نزلْ ✽ نُقارفُ ذنبًا أو نتوبُ فتَقبلُ

نَعائمُ لا تُحصى من اللهِ كثرةً ✽ وأعظمُها الإيمانُ باللهِ أوَّلُ

وسنَّ لنا شرعًا قويمًا عمادُهُ ✽ به نهتدي للحقِّ والأمرُ مُعْضِلُ

وخطَّ لنا الشُّورى عمادُ أمورِنا ✽ وقد سنَّها هذا النَّبيُّ المُفضَّلُ

وقد أنزلَ الفُرقانَ يَفْصِلُ بينَنا ✽ بعدلٍ تقصَّاه الكتابُ المُرتَّلُ

فأمَّا مَن اختارَ الهُدَى وسبيلَه ✽ فإنَّ جزاءَ اللهِ أوفَى وأفضلُ

وأمَّا مَن اختارَ الضَّلالةَ والهوى ✽ فمِيزان ربِّي فوقَ ذلِكَ أعدَلُ

أمَنْ كان يهدِي للهُدَى وسبيلِه ✽ كَمَنْ هو في بحرِ الضَّلالةِ ينهلُ

فما يستوي الأمرانِ، هذا مِنَ التُّقَى ✽ وهذا مِنَ الشَّيطانِ لو كنتَ تَعقلُ

تَبَيَّنَ للطَّاغِين كيفَ مآلُهم ✽ وربُّك يهدي من يَشاء ويُضْلِلُ

ومن يَعْـشُ عن ذكـرِ الإله يكُن له ❋ قرينٌ من الشَّيـطانِ يَنـــهى ويَفعلُ

فسبِّـحْ بحمـــدِ الله لا تـكُ غافِــلًا ❋ فقد خابَ حقًّا مَنْ عَنِ الحمدِ يَغفُلُ

ولا تَحســـبنَّ اللهَ يَغـــفلُ ساعــةً ❋ ألَا إنَّه يُمــلي لكم ثُـم يُمْـــــهلُ

لقـد خابَ مَن أمسى لغـيركَ عابِدًا ❋ وباءَ بطُـــــول الخِزيِ فهْو مُضَلَّلُ

أيَعبــدُ قـبرًا أو يُســـائلُ جِيـفـةً ❋ ويَسجـدُ للأوثـــانِ فهْـو مُكَبَّـــلُ

وإنْ هي إلَّا سنَّـــةٌ مُّستقـــيمةٌ ❋ تَأبَّـــتْ فما تَرتـــدُّ أو تتبـــدَّلُ

أيعلـــــمُ أنَّ اللهَ لا ربَّ غـــيرُه ❋ ويَعـــبدُ دونَ اللهِ أو يتعــــلَّلُ

فقُمْ بخشــوعٍ للَّـــذي فطَرَ العُلَى ❋ وزيَّـــن دُنـياها بما هـو يَجْـمُلُ

لِيَدْحَـرَ عنها الجنَّ إنْ هَمَّ مُنْصِتٌ ❋ ونـورًا لنـــا يَهـدي ، وكُلٌّ مُؤَجَّـلُ

وكنْ مُخْبِـتًا للهِ ربِّـــك واصطـبِرْ ❋ فقد فـــازَ فيها الصَّـابرُ المُتـوكِّلُ

ولا تَبْـغِ إنَّ البـغْيَ فاعلَـمْ نـدامـةٌ ❋ وكُلُّ امـرئٍ يُجـــزَى بما هو يَفــعلُ

❋ ❋ ❋

أخي !

للشّاعر محمود العيسوي

أخي يا ابنَ ديني عليكَ السَّلامْ

سَـــلامٌ يُنــيرُ دُروبَ الظَّـلامْ

ويَمحـو الحُـدودَ يُزيـلُ الرُّكامْ ❋ ويَرفـعُ عنـك بَـلاء السِّـــنِين

أخي أنــتَ منِّي وإني لَمِـــنْكَا

وإنِّي أســيرٌ هُـــنا لـم أَخُـنْكَا

ولولا الإسـارُ لجاهَـدتُّ عنْكَا ❋ وإنِّي هـــنا في جِهـادي أمِـــين

أخي قد حنَـنَّـا لنُور الصَّــباحْ

وقـد طالَ ليـلٌ ومدَّ الـجَناحْ

وطالَ الأنـينُ ونَـزْفُ الجِـراحْ ❋ وأنتَ المُداوي لجُرحي الثَّخين

أخي فارفَــعِ الرَّأسَ لا تَنــحنِ

وعن عزمَــةِ الجِــدِّ لا تَنــثنِ

فإنَّ الشَّـــدائدَ للمَعـــدِنِ ❋ تُبِين الرَّجـالَ وتَكفي الظَّنين

أخي جاهـــدِنَّ ولا لا تَلِـــنْ

وجاهــرْ بدِينك رغمَ المِحَـنْ

وإن غالبـــوكَ فـلا تحـزنَـنْ ❋ سيأتيــكَ نَصرُ الإلهِ المُعــين

أخي واسعــدنَّ ولا تَبتـــئِسْ

فأنتَ الضِّــياءُ إذا ما الغلَـسْ

أحاطَ الدُّنــا بظَــلامِ الرَّجَسْ ❋ بنُـوركَ يَسطــعُ فَجرٌ مُبـــين

رحلة إلى جدِّي

كُنَّا ما نَزالُ في فَلَقِ الصُّبحِ (1) عِندَما وصَلنا إلى الطَّريقِ الزِّراعيَّـةِ الـمُؤدِّيَةِ إلى قَريةِ جَدِّي ، فأبي يُحِبُّ السَّفرَ مُبكِّـرًا حَتَّى إنَّهُ لَيُصَلِّي بِنا الفَجرَ في أَثناءِ الطَّرِيقِ !

ما أَجمَلَ الرِّيفَ وأطيَبَ هَواءَهُ النَّقيَّ !! الشَّمسُ أَشرَقَتْ نَشِيطَةً ، وأخَذَت تُطارِدُ بَقايا الضَّبابِ الـمُتَكاسِلَةَ ، وأنا وإخوتِي نَتَقاسَمُ نَوافِذَ حافلتِنا ، نُشاهِدُ الحُقُولَ الرّائِعَةَ ، ويَصيحُ بَعضُنا لِبَعضٍ بِما يَراه .

كُنتُ أَوَّلَ مَن رأى بُرجَ حَمامٍ يَلُوحُ مِن بَعِيدٍ ، وأنا أَيضًا أَوَّلُ مَن أَرَيتُ إِخوتِي النُّطَّارَ (2) ولَم يَكُونُوا يَعلَمُونَهُ .

عَبَرنا بِالحافِلةِ جِسرًا عَلى فَرعِ النِّيـلِ ! صاحَتْ أُختي : القارِبَ ! القارِب ! نَظَرنا

---

(1) فَلَقُ الصُّبحِ : أوَّلُ انفلاقِ اللَّيلِ عنه .

(2) النُّطَّار : خيالُ المآتة ، أو ما يُسمَّى بالفزَّاعَة .

فإذا عَرَكِيٌّ [3] في قارِبِهِ ، يُفرِغُ السَّمَكَ مِنَ الشَّبكةِ فِي إِجَّانَة [4] .

عَبَرنا الجِسرَ ، ثُمَّ ما لَبِثنا إِلَّا قَليلًا حَتَّى وصَلنا إِلى مَشارِفِ قَريةِ جَدِّي ، وكانتْ هَذِهِ ساعةً يُسِيمُ فِيها أَهلُ القَريةِ ماشِيتَـهَم [5] ، فَلا جَرَمَ ازدَحَمَت بِهِمُ الطَّرِيقُ ، وهِي مَعَ ذَلِكَ لَم تَكُن مُعَبَّدَةً ؛ مِـمَّا اضطَرَّ حافِلَـتَنا لِلإِبطاءِ والتَّرَوِّي .

عِندَما وصَلنا إِلى القَريةِ لَـم نَجِد لِحافِلَتِنا مِرآبًا إِلَّا بَيدَرَ [6] القَريَةِ ، وكَم كانَت سَعادَةُ أَهلِنا بنا عندَما وقَفَتِ الحافلةُ لِنُزولِنا ، لَقد كادُوا يَصعَدُونَ إِلَينا فِي الحافلةِ لِيُعانِقونا مِن قَبلِ أَن نَنزِلَ شَوقًا إِلَينا .

اصطَحَبَنا أَبناءُ عُمُومَتِنا لِنَرتَعَ ونَلعَبَ عِندَ الحُقُولَ ، ونَتَمَلَّى بِشَغَفٍ مَناظِرَ الأَكواخِ والحَظائرِ والنَّخلِ والجُمَّيزِ !! وهُم أَيضًا كانُوا يَسأَلُونَنا عَنِ المدينةِ بِشَغَفٍ ، ويَسأَلُونَ مَبهُورِينَ عن قطارِ الأَنفـاقِ [7] وسُلَّمِـهِ الكَهرُبائيِّ ، وكُنتُ أَقـولُ فِي نَفسي :

---

(3) العَرَكيُّ : صيَّادُ السَّمكِ .

(4) الإجَّانَة : إناءٌ كبيرٌ تُغسَلُ فيه الثِّيابُ .

(5) أسَامَ الماشيةَ : أخذَها للمَرْعَى .

(6) البَيدَر : الجرنُ .

(7) قطارُ الأنفاقِ : ما يُعرَفُ بمِترو الأنفاقِ .

لَرِيفُكم والله خَيرٌ من مَدِينتِنا وضَجيجِها .

لَم نَلبَث أَن دُعِينا لِلغَداءِ ، ولَـمَّا يَقُمْ قائِمُ الظَّهِيرَةِ بَعدُ ، كَمِ استَمتَعنا بِالثَّرِيدِ الَّذِي صَنَعَتهُ لَنا جَدَّتِي ، اجتَمَعنا عَلَى الطَّعامِ حَتَّى غَصَّت بِنا باحَةُ البَيتِ ، ووضَعَت لَنا جَدَّتُنا الثَّرِيدَ فِي طَبَقٍ يَملأُ الخُوانَ ، ولَيسَ فِي صَحفَةٍ كَما تَصنَعُ أُمِّي .

ما إِن صَلَّينا المغرِبَ حَتَّى أَخَذنا مَقاعِدَنا مِن الحافلةِ ، وأهلُونا يُودِّعُونَنا أَحَرَّ وداعٍ ، ويَسأَلُونَ أَبِي أَن يَبقَى بِضعَةَ أَيَّامٍ ، ويَشجُبُونَ عَجَلَـتَه ، وهُو يَعتَذِرُ إِلَيهِم بِشَواغِلِه العَدِيدَةِ .

ثُمَّ انطَلَقَ بِنا قافِلًا وقَد عَسعَسَ اللَّيلُ (8) .

كُنتُ قَرِيبًا مِن أَبِي وهُو يَقُودُ بِنا الحافلةَ ، ويُجاذِبُنا أَطرافَ الحدِيث . كانَ الحديثُ لَطيفًا مازِحًا ، ثُمَّ حانَت مِن أَبِي إِلَينا التِفاتَةٌ ، وسأَلَنا بِصَوتٍ جادٍّ : أَيُّ الحَياتِينِ أَحَبُّ إِلَيكُم ؟ حَياةُ القَريَةِ أَم حَياةُ المدينةِ ؟

لَـم أَتَرَيَّث أَن قُلتُ : حَياةُ القَـريَةِ والله ! قالَ : ولِـمَهْ ؟ قُلتُ : النَّـاسُ فِي القَريَةِ

---

(8) عَسْعَسَ اللَّيلُ : دَخلَ .

أَحسَنُ حالًا مِنَّا ، في بَساطَةِ حَياتِهم ، وتَرابُطِهِم ، وهُدوءِ بيئَتِهم .

تَنَهَّدَ أَبِي قائِلًا : أَجَلْ ! حَياتُهم أَقربُ إِلى الفِطرةِ !

شَعُرتُ أَنَّ أَبِي يَقولُ ما في قَلبي ، فَهَمَمتُ أَن أَقولَ : حَقًّا واللهِ ! لَكِنَّنِي سَكَتُّ لَـمَّا وجَدتُّهُ قَدِ استطرَدَ قائلًا : إِنَّ حَياةَ المدينةِ هَذِهِ طارِئَةٌ عَلَى تاريخِ الإِنسان ، وعِندَما استَخلَفَ اللهُ أَبانا آدَمَ فِي هَذِهِ الأَرضِ كانَت حَياتُهُ أَشبَهَ بِحَياةِ الرِّيفِ ، وهَذا ما يَدعُوني إِلى التَّفكيرِ في هِجرانِ المدينةِ ، وسُكنَى القَريَةِ .

عِندَما وصَلنا إِلى مَشارِفِ مَدينتِنا كانَ ظَلامُ اللَّيلِ قَد وقَبَ (9) ، فَلَيسَ فِيهِ مِن نُورٍ إِلَّا مَصابيحُ المدينةِ تُوصوِصُ مِن بَعِيدٍ .

وكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا ما يَزالُ يَقطَعُ انشِغالَ أَبِي بِالذِّكرِ وقِراءَةِ القُرآنِ ، لِيَذكُرَ حُجَّتَهُ فِي تَفضيلِ القَريةِ عَلى المدينةِ .

وكانَت (رَجاءُ) أُختُنا الصُّغرَى تَلهُو وادِعَةً بَينَ المقاعِد ، فاذا انتبَهَتْ لِنقاشِنا أَقبَلَت عَلَينا بُرهَةً ، ثُمَّ عادَت إِلَى لهوِها ، فَبَينا هِي كَذَلِكَ إِذْ أَقبَلَتْ عَلَينا مَرَّةً ، وجَعَلَت

---

(9) وَقَبَ : خيَّمَ واستَحْكَمَ .

تَرقُبُ نِقاشَنا في صَمتٍ ، ثُمَّ لَم تَلبَثْ أَن قَطَعَتْ حَديثَنا ، وهِي تُشيرُ إِلَى غسَقِ اللَّيلِ قائِـلَةً فِي أَسًى : أُحِبُّ القريـةَ ؛ لِأَنَّ شَمسَها كانَتْ مُشرِقَةً ، أَمَّا المدينةُ فَلَيـلُها مُظلِمٌ ها هُو ذا !!

لَم نَتَمالَكْ أَنفُسَنا أَنا وإخوتِي أَن ضَحِكنا ، عَجَبًا مِن حُجَّتِها تِلك !! أَمَّا أَبِي فَقَد ابتَسَمَ إِلَيها بِعَطفٍ قائِلًا : لا تَحزَنِي يا (رَجاءُ) ، غَدًا تُشرِقُ الشَّمسُ !!

❀❀❀

فهرس الموضوعات

* اقرأ في هذا العدد *

مقالة : لم لا تكون (من) الجارة اسما ؟ 4

الكاتب : فيصل المنصور

حلقة النحو والتصريف

مقالة : تأملات بلاغية في آيات الصيام (1) 17

الكاتب : جبران سحاري

حلقة البلاغة والنقد

مقالة : من آفات الكتابة : (مئة) لا (مائة) 26

الكاتب : محمد تبركان

حلقة العروض والإملاء

مقالة : آذان صاغية .. من أخطاء التصحيح اللغوي ! 35

الكاتبة : عائشة

حلقة فقه اللغة ومعانيها

مقالة : دفائن الحماسة (3) 39

الكاتب : صالح العَمْري

حلقة الأدب والأخبار

قصيدة (قل للذي يبغي الخلاص من الذنوب) 73

الناظم : رضوان آل إسماعيل

حلـقـة العلوم الشرعية

ألغاز وأحاجي شعرية (8) 82

الكاتب : جلساء الملتقى

حلقة الأدب والأخبار

إبداعات أدبية لجلساء الملتقى 91

قصيدة : حميا الإيعاد

للشاعر صالح العَمْري

تخميس قصيدة : (أضحى التنائي بديلا من تدانينا)

للشاعر أحمد المساح المعمري

قصيدة : فسبح بحمد الله

للشاعر حسن الحضري

قصيدة : أخي !

للشاعر محمود العيسوي

مقالة : رحلة إلى جدي

للأديب محمود العيسوي

حلقة الأدب والأخبار

فهرس الموضوعات 114

❀❀❀